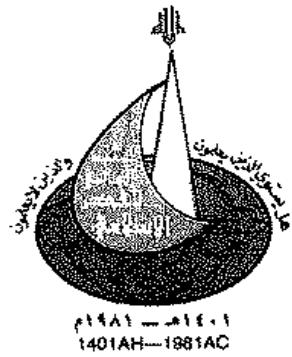


المعهد العالمي للفكر الإسلامي

مَسْرِعُ الْعَالَمِ الدُّولِيُّ لِلشَّرِكَةِ إِسْلَامِيَّةِ



العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي

الجزء الثامن

الدولتان الفوضيتان .. دولتان فوضيتان

١٤ - ٦٦١ - ١٣٩٠ مـ

ناديه محمود مصطفى

المشرف العالى ورئيس الفريق

الباحثون

مصطفى محمود منجود

عبد الوهاب شتا

ناديه محمود مصطفى

بن عبد الفتاح إسماعيل

نصر محمد عارف

د العزيز صقر

ودودة عبد الرحمن بدران

بد العزيز أبو زيد

8895884



Biblioteca

المشرف العام ورئيس الفريق

١ - أ. د. نادية محمود مصطفى

أستاذ العلاقات الدولية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

الباحثون

٢ - أ. د. احمد عبد الوهبي سشنا

أستاذ مساعد القانون الدولي العام

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

٣ - أ. د. سيف الدين عبد الفتاح اسماعيل

أستاذ مساعد النظرية السياسية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

٤ - د. عبد العزيز حسقرا

دكتوراه في العلوم السياسية

جامعة الاسكندرية

٥ - أ. د. علاء عبد العزيز أبو زيد

أستاذ مساعد العلوم السياسية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

٦ - أ. د. مصطفى محمود متوجود

أستاذ مساعد الفكر السياسي

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

٧ - أ. د. نادية محمود مصطفى

أستاذ العلاقات الدولية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

٨ - د. نصر محمد عساف

مدرس العلوم السياسية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

٩ - أ. د. ودودة عبد الرحمن بدران

أستاذ العلاقات الدولية ووكيل

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

المستشارون

١٠ - أ. د. حورية توفيق مجاهد

أستاذ الفكر السياسي ورئيس قسم العلوم

السياسية الأساسية كلية الاقتصاد

والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

١١ - أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور

أستاذ التاريخ - كلية الآداب

جامعة القاهرة

١٢ - أ. د. عبد الحميد أبو سليمان

أستاذ العلاقات الدولية ورئيس

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

١٣ - أ. د. على جمعة محمد

أستاذ أصول الفقه - كلية الدراسات العربية

والإسلامية - جامعة الأزهر

المشرفون

١٤ - أ. د. ابراهيم البيومى خانم

١٥ - أ. إحسان سيد عبد العظيم

١٦ - أ. أحمد عبید السلام

١٧ - أ. تهاني عبسان

١٨ - أ. حامد عبد الماجد قويسي

١٩ - أ. طارق السعدي

٢٠ - أ. عبید السلام توبير

٢١ - أ. مسعود محمد عيسى

٢٢ - أ. محمد عاشور مهدي

٢٣ - أ. محي الدين محمد قاسم

٢٤ - أ. فوزي خليل

٢٥ - أ. ناهد عرنوس

٢٦ - أ. هشام طه

٢٧ - أ. هبة رفوف عزت

٢٨ - أ. هشام جعفر

الدُّوَلَةُ الْأَمْعَانِيَّةُ ... دُولَةُ الْقِبْلَةِ

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد
تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها

الدَّوْلَةُ الْأَمْوَالِيَّةُ ... دَوْلَةُ الْفُتوحَاتِ

٤١ - ٦٦١ - ١٣٢ هـ مـ

من اشتغال الدولة الأموية الفوقي والمؤثر لحركة فتح حات الراشدين
إلى بلوغ المذاق الشعري حذوده الطبيعية في المشرق والمغارب

د. علاء عبد العزيز أبو زيد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

القاهرة

١٤١٧ - ١٩٩٦ م

(مشروع العلاقات الدولية في الإسلام : ٨)

© ١٩٩٦ - ١٤١٧ م

جميع الحقوق محفوظة

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

٢٦ ب - ش. الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج. م. ع.

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة :

أبو زيد ، علاء عبد العزيز .

الدولة الأموية .. دولة الفتوحات ٤١-٦٦١ هـ؛ ٧٥٠-٦٦١ م / علاء

عبد العزيز أبو زيد ، ط١ .. القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،
١٩٩٦ .

ص . سم . - (مشروع العلاقات الدولية في الإسلام : ٨)

يشتمل على إرجاعات بيليوغرافية .

تدملك .. ٤٧ - ٥٢٢٤ - ٩٧٧ .

١ - الدولة الأموية (٦٦١-٧٥٠م) - العلاقات الخارجية

ب - (السلسلة) ١ - العنوان .

رقم التصنيف : ٣٢٧ .

رقم الإيداع : ٧٢٢٧ / ١٩٩٦ .

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة :
١١	الفصل الأول : مرحلة بناء هيكل سياسة التعامل الدولي للدولة الأمريكية ، ووضعها موضع التنفيذ : ٦٦١-٤٩٠-٧٢٠ م .
١٣	تمهيد :
١٣	المبحث الأول : أسس التعامل الخارجي للدولة الأمريكية .
١٩	المبحث الثاني : المد الإسلامي في الجبهة الغربية .
٤٥	المبحث الثالث : المد الإسلامي في الجبهة الشرقية .
٥٣	الفصل الثاني : التحولات في البيئتين الداخلية والخارجية ، وأثرها في انحسار حركة المد والجزر .
٥٥	تمهيد :
٥٧	المبحث الأول : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية البيزنطية .
٦٣	المبحث الثاني : الانحسار الإسلامي على الجبهة الأوروبية .
٧٠	المبحث الثالث : الانحسار الإسلامي على الجبهة الشرقية .
٧٣	المقدمة ،

المقدمة

اقسم العالم (النظام الدولي) غداة ظهور الإسلام قوتان عظميان هما الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية ، و تاريخ القرون الثلاثة السابقة على ظهور الإسلام هو تاريخ الصراع بين هاتين القوتين ، ولقد ترك هذا الصراع الطويل آثاره السلبية على النسيج الاجتماعي والمؤسسات السياسية والموارد الاقتصادية والقوة العسكرية لكتلتين إمبراطوريتين اللتين كانتا تشرفان بمحدودهما على الجزيرة العربية ، حيث ولد الإسلام نظاماً للحياة أدى إلى ظهور دولة فتية في وقت تهياً فيه المسرح الدولي لاستقبال قوة جديدة تنازع القوتين المخضرمتين السيطرة على العالم القديم^(١) .

ولقد كان أثر هذين العاملين ، السليمي ، والمتمثل في تدني ظروف الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، والإيجابي ، والمتمثل في الدور الموحد للإسلام ، حاسماً في النجاح وثبات المسلمين الأولى على الإمبراطوريتين أيام الراشدين . فلقد استطاع المسلمون في زمن قياسي أن يقوضوا أو كفوا الإمبراطورية الفارسية فمحروها من على الخريطة الدولية، كما لم يمحروا أيضاً في ثباتهم الأولى تلك في انتزاع الشام ومصر وشمال أفريقيا من الإمبراطورية البيزنطية وفي أن يهددوا الحدود الجنوبية للدولة البيزنطية حيث كانت تجري معارك بين المسلمين والبيزنطيين على طول هذه الحدود^(٢) . ولم يوقف حركة الفتوحات الإسلامية الأولى إلا أحداث الفتنة التي شهدتها المراحل الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان وما تلاها من حروب داخلية بين الخليفة الراشد على بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام حيث ، ولقد أدت هذه الفتنة إلى انشغال المسلمين عن تثبيت إقامتهم في البلاد التي فتحوها ، وعن نشر الدعوة ، مما يعكس الأثر السلبي للخلافات الداخلية على وضعية الدولة الإسلامية الناشئة على الساحة الدولية .

١) انظر تفاصيل عوامل ضعف الإمبراطوريتين وقت ظهور الإسلام .

- محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام - (القاهرة: مؤسسة الخاتمي - ج ١٩٦٢، ١٨-٩) ص ص ٩-١٨ .

٢) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

وهذه السلبية سرف تصبح نمطاً يتكرر مرات عديدة في التاريخ الإسلامي، فماضحت الخلافات الداخلية عاملًا مهددًا لوجود ومكانة الدولة خاصة في لحظات الضعف .

وهكذا فانه بعد خمس سنوات من فتنة عثمان ستطرى الأمة الفتية هذه الصفحة الخرينة من الصراعات الداخلية عندما ينجح معاوية بن أبي سفيان عام ٤١هـ-٦٦١م في تأسيس الدولة الأموية لاستعيد الدولة الإسلامية قوتها من جديد ولتنستأنف اكتساحها لسواط العالم القديم شرقه وغربه ، فعام ٤١هـ من المحرجة يعتبر نقطة تحول خطيرة في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وفي تاريخ العلاقات الدولية بصفة خاصة .

بالنسبة لأمة الإسلام فإن أحاديث فترة الخمس سنوات التي استغرقتها فتنة عثمان وحروب على ومعاوية قد شهدت بدايات معظم الفرق المذهبية الرئيسية ذات التوجهات السياسية المتباينة والتفرعات العقائدية المختلفة والتي سيعرفها الفكر السياسي الإسلامي على طول تاريخه، وسوف ينجح معاوية في عام ٤١ في لم شمل الأمة قبل أن تتفتت تماماً وبعد أن كاد الأمل يضيع في امكانية الحفاظ على الوعاء الذي يوحد الأمة ويحفظ الشريعة فأقام دولة قوية استطاع أن يبدأ بها مرحلة نشطة في العلاقات الدولية والتي كان قطبها حينئذ هما الدولة الأموية والدولة البيزنطية .

فقد أثبت حلفاء بني أمية أنهم على قدر عال من الاقتناع بسياسة رسول الله الخارجية ، فالدولة الأموية استوغلت حجم وطبيعة الخطير القادم من الدول غير الإسلامية على الإسلام وأمنت أن خير وسيلة لمواجهة هذا الخطير هي الهجوم وليس الدفاع^(١) أما غايتها النهائية من تعاملها الخارجي فكان حمل راية الإسلام إلى أرجاء العالم القديم كله ، وهذه الغاية لها دلالة عظيمة فيما يتعلق بشكل النظام الدولي الذي كانت الدولة الأموية تسعى إلى إقامته .

فالنظام الدولي السابق على ظهور الدولة الإسلامية كان نظاماً ثنائياً الأقطاب تتنازعه الدولتان الفارسية والبيزنطية ، وقيام الدولة الإسلامية لم يغير من نمط هذا النظام الدولي حيث

(١) عبد العليم رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية - (القاهرة : دار المعارف - ١٩٨٣) - ص ٧٦ .

قضى المسلمون على الدولة الفارسية ليحلوا الدولة الإسلامية محلها وليستمر النظام الدولي ثالثي الأقطاب ولكن مع تغير أحد قطبي النظام ، أما نقطة التحول الحقيقة التي يشكلها صعود الدولة الأمريكية عام ٤١ هـ فتمثل في إيمانها بضرورة أن تحمل رسالة الإسلام إلى أقطاب الأرض المعمورة، ولم يكن هذا يعني إلا شيئاً واحداً وهي أنها كانت تريد أن تحول النظام الدولي من نظام ثالثي الأقطاب إلى نظام يتحكم فيه قطب واحد وهو الدولة الإسلامية ،

ومن هنا نستطيع أن نفهم بعد الاستمرارية في سياسة التعامل الصراعي للدولة الأمريكية في المجال الدولي ، ففي ظل الدولة الأمريكية استأنف المسلمون أكتساحهم لسواد العالم القديم فأحيوا حركة الفتوحات الكبرى متغلبين في أقطار الدولة البيزنطية حتى مياه البوسفور شرقاً كما فتحوا شرق العالم القديم حتى اقتربوا من حدود الصين ، ثم وصلوا حتى شاطئ المحيط الأطلسي غرباً عابرين إلى إسبانيا ومنها مقتربين غرب أوروبا حتى قلب فرنسا وضفاف اللورين فبلغت بذلك حدوداً لم تتجاوزها الدولة الإسلامية بعدها كدولة واحدة ، وامتدت الدولة في عهدهم من الصين شرقاً إلى بلاد الأندلس وجنوب فرنسا غرباً ، وتوزعت فتوحاتهم على أربع جهات في وقت واحد مما يدل على أن السياسة الخربية الفتحية كانت هي نشاط الأمريكان الأساسي ، فكانت هناك الجبهة البيزنطية والجبهة الأوربية (إسبانيا وفرنسا) والجبهة الأفريقية (شمال أفريقيا) وكذلك الجبهة الشرقية والتي امتدت من العراق إلى الشرق حيث تفرعت .

أما على الجانب الإسلامي : فكانت الميزة الأساسية التي ميزت العصر الأمريكي : هو وجود فاعل إسلامي واحد هو الدولة الأمريكية وإنعدام وجود أنساق إسلامية فرعية تدخل في علاقات تفاعل دولي مع أطراف غير إسلامية ، فالنظام الدولي وقت العصر الأمريكي كان كما ذكرنا نظاماً ثالثي الأقطاب طرفاً في الدوليان هما الدولة الأمريكية والدولة البيزنطية ، وهذا يفسر حدة الصراع بينهما حيث اتسمت علاقاتهما الدولية بالتركيز لا بالتشتت .

وندرس في هذا البحث تفاعلات الدولة الأمريكية بالأساس مع الدولة البيزنطية؛ وينقسم البحث إلى فصلين يدرس أحدهما مرحلة تعبير الدولة الأمريكية الإيجابي عن سياسة التعامل الدولي التي أمنت بها، ويبرز الفصل الثاني سلبية الدولة الأمريكية في تنفيذ استراتيجيتها الخارجية، ويبتَدِّيَ البحث كيف أن عوامل داخلية وأخرى خارجية قد تضادفت من أجل تحديد نمط العلاقة في كل مرحلة .

الفصل الأول :

مرحلة بناء هيكل سياسة التعامل الدولي للدولة الأموية ووضعها موضع التنفيذ :
٤٩ - ٦٦١ / ١٠٠ - ٧٢٠ م

المبحث الأول : أسس التعامل الخارجي للدولة الأموية .

المبحث الثاني : المد الإسلامي في الجبهة الغربية .

المطلب الأول : بلاد الروم .

المطلب الثاني : جزر البحر المتوسط .

المطلب الثالث : شمال أفريقيا والتمهيد لفتح الأندلس .

المبحث الثالث : المد الإسلامي في الجبهة الشرقية

الفصل الأول

مرحلة بناء هيكل سياسة العامل الدولي للدولة الأموية
ووضعها موضع التنفيذ : مرحلة المد ٤١ هـ - ١٠٠ هـ

مقدمة :

تولى أمير الدولة الأموية صبيحة تأسيسها معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام لأكثر من عشرين سنة متصلة في زمن خلافة كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان على التوالي ، وفي أقليم الشام تاجحت حدود الدولة الإسلامية الدولة البيزنطية، كما حاورت ممتلكات تلك الامبراطورية في حوض البحر المتوسط الشرقي سواحل الشام .

وهكذا هدد الخطر البيزنطي أقليم الشام براً وبحراً ، ووقع عبء مواجهة هذا الخطر في معظم الوقت على معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام ، وكان خبرته القتالية الطويلة مع الروم أمّر واضح في تشكيل استراتيجية التعامل معهم وفي توجيه قناعته عماهية وطبيعة السياسة الملائمة للتعامل معهم تنفيذاً لهذه الاستراتيجية ، وكانت المواجهة القتالية المستمرة مع الروم البيزنطيين هي الأسلوب الذي ارتاده أنساب التعامل معهم ، وكان توليه أمير المسلمين الفرصة التي ساعدته على تحويل تلك القناعة الشخصية إلى سياسة دولة ، ساعدته على تبني مجموعة من العوامل الداخلية الإيجابية أهمها وجود جيش قوي ولاء الأول والأخير للخليفة ، وموارد اقتصادية هائلة تدرها الأمصار، وقرب عهد بالإسلام وفر أعداداً هائلة من المتطوعين المؤمنين بهذه السياسة بوصفها رسالة، وهذا توافرت مع القناعة الشخصية لمعاوية مجموعة من العوامل الداخلية المساعدة أدت إلى اتخاذ سياسة مد فتحي كبرى ستستمر حتى عام ١٠٠ هـ.

المبحث الأول : أسس التعامل الخارجي للدولة الأموية :

لقد وعى معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية دروس فتنة عثمان وماتلاها من حروب بيته وبين على بن أبي طالب فأدرك أن فعالية التعامل الخارجي تتوقف على مدى تماسك واستقرار الجبهة الداخلية ، فرغم أن الروم كانوا قد تلقوا ضربات قاضية من المسلمين أثناء الوثبة الأولى في عهد الراشدين خاصة في موقعة ذات الصواري التي مكنت للأسطول الإسلامي في حوض المتوسط بعد أن كان حكراً على الدولة البيزنطية ، إلا أنهم تحكموا النساء أحداث الفتنة من استرداد بعض أجزاء من أرمينيا وكذا قبرص وروdes من حزر البحر المتوسط^(١) ، ومن ثم جدد معاوية في بداية خلافته للMuslimين الصلح الذي كان أبرمه مع قسطنطين الثاني إمبراطور الروم آبان حربه مع على بن أبي طالب ، وكذا صالح قبائل الجراجمة من سكان منطقة الحدود بينه وبين الدولة البيزنطية في نفس الفترة^(٢) .

ولقد كان صلح معاوية مع الروم البيزنطيين وكذلك مع القبائل التي تثير القلاقل في منطقة حساسة من أطراف الدولة بمحاباة خطوة تكتيكية محسوبة تضمن له ابعاد أو على الأقل تحديد الأخطار الخارجية ليتفرغ للمهمة العاجلة الواجب أن يفتح بها حكمه وهي تدعيم الجبهة الداخلية وحل المشاكل التي خلفتها أعوام متالية من الصراع الداخلي ، وأول ماعمد إليه معاوية هو العمل على توحيد الجبهة الداخلية قدر المستطاع ورأب الصدع الذي خلفته الصراعات ، ولقد اتبع في هذا الصدد خططين متوازيين من التحررك: الأول الذي كان يستهدف تقويب من غربته الفتن والخروب خاصة من الشخصيات المحورية التي قد يُخشى من تأثيرها على العامة لغير صالح النظام الأموي من أمثال الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن أبي وقاص^(٣) .

(١) المرجع السابق ، ص ص ٩٦ - ٩٧ .

الخطيب ، دراسات محلية ، م ٢٠ س ٥ ذ ، ص ١٦٢ .

(٢) عبد المنعم ماحد ، التاريخ السياسي للدولة العربية - عصر الخلافة الاموية - (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ج ١٢ ، ١٩٨٢) ص ٣٥ .

- أسد رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينيهم وثقائهم وصلاتهم بالعرب - (بيروت: دار المكنشوف ، ١٩٥٥) .

(٣) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م ٢٠ س ٥ ذ ، ص ص ٨٤ - ٨٥ .

أما الثاني فكان هدفه إرادة التناحر القبلي بين عرب الشام وعرب الجنوب، ولقد عمد هنا إلى أسلوب المعاشرة من أكبر قبائل عرب الجنوب حيث كان هو من عرب الشمال، كما أنه كان يتعامل مع القبيلتين وفق ميزان عدل لا يميل إلى أحداهما على حساب الأخرى^(١).

ثم إنه نظر بعد ذلك إلى الأمسار. فبالنسبة للشام معلقه منذ أكثر من عشرين عاماً وموطن شيعته ومناصريه فإنه نقل إليها عاصمة الدولة الإسلامية، ولم يكن نقل العاصمة من المدينة إلى دمشق مجرد التقال من مكان بمحاج بالخلاف والمناوئين إلى مكان يتمتع بالاستقرار ويسكنه الموالون، ولكنه كان تعميناً لتوجه الدولة الأموية نحو الصراع مع الدولة البيزنطية، فدمشق القرية من الحدود البيزنطية جعلت وجه الدولة الإسلامية شاغراً إلى الغرب حيث بدأت سياسة توسيع إسلامي كبير في هذا الاتجاه^(٢). ثم انه نظر أيضاً إلى العراق لموقعه الهام بالنسبة للفتوحات، ولما كانت قد أيدت على بن أبي طالب أثناء الفتنة فلقد ندب إليها ولاء عرقوها بالشدة لضمان السيطرة عليها، وكان الحجاج بن يوسف من أشد الولاة واستطاع بالفعل أن يقر الأوضاع في العراق واستمر هذا في صرف الهم إلى الفتوحات فبلغت فتوحات الجبيهة الشرقية سواء في السندي أو بلاد ماوراء النهر أوجها أيام الحجاج وبلغ الإسلام مناطق لم تطأها أقدام المسلمين قبلها^(٣)، ثم انه اهتم اهتماماً قوياً بتأسيس جيش قوي يكون ولوه الأول والأخير للخلفية الأموي ليكون عدته في تنفيذ مشاريعه الحربية، ولقد جعل قوام هذا الجيش الأساسي من جند الشام الموالين له شخصياً، وكذلك عمد إلى انتقاء مجموعة من خيرة القادة العسكريين لقيادة^(٤).

1- M.A.Shacban , Islamic History : A New Interpretation (London : Cambridge University Press , 1971) .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م . س . ذ ، ص ٧٦ .

٣) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م . س . ذ ، ص ٩ .

4) Shacban , op. cit , pp 80 - 81 ; Marshall G.S. - Hodgson , The Venture of Islam , Vol 1 : The classical Age of Islam (Chicago , London : The University of Chicago press, 1974) P.218.

بعد أن أمن معاوية الجبهة الداخلية باتباع مجموعة من الخطوات التي سوف تثبت فعالية واضحة في زمن خلفائه الذين سيتمكنون بها ، عمد إلى رسم الخطوط العريضة لسياسات التعامل الخارجي للدولة الأموية والتي استمرت منهاجا لها حتى زالت ، ولعل المعلم الرئيسي لسياسة التعامل الخارجي للدولة الأموية يلخص في عبارة واحدة هي أن المحروم خير وسيلة للدفاع فامن الدولة يتحدد عن طريق تمددها وتوسيعها المستمرة ومن ثم فإن قوية الحدود وتدعيها بمصون وقلاع ثابتة بفرض تأمين الدولة داخلها لم يكن وارداً في خطة الأمويين ، فتأمين الدولة يتم باتباع سهل واحد هو العمل المستمر على ضم مناطق جديدة وهذه السياسة يمكن أن نطلق عليها اسم سياسة تداعى الفتوحات ، فمثلاً نجد أن الدولة الأموية قد آمنت بأن تؤمن فتوحات الشام إنما يستدعي السيطرة على المناطق المتاخمة له من الشمال والشمال الشرقي (ارمينية) والجنوب والجنوب الغربي (مصر) والغرب (جزر البحر المتوسط الشرقي) ثم إن تأمين فتوحات مصر استدعي فتح إفريقية (تونس) ، وهذا بدوره يتطلب فتح المغرب الأوسط (الجزائر) ثم المغرب الأقصى (المغرب) وبذلك أصبح المسلمون في مواجهة القرى غير الإسلامية الوردية في المغرب بنفس القدر الذي واجهوا به الدولة البيزنطية في الشرق وسوف يؤدي هذا إلى فتح جبهة جديدة للمواجهة بين المسلمين والقوى غير الإسلامية كما سوف نرى ، خاصة في العصر العباسي ، فعلى هذه الظروف الجغرافية إذن كانت تسير الفتوحات الأموية براً من أجل رفع راية الإسلام^(١) .

ولم يختلف الأمر في البحر عنه في البر فبعد احتلال قبرص في البحر المتوسط الشرقي أيقن الأمويون ضرورة عدم التوقف عن هذا الحد ، فمواصلة الاستيلاء على الجزر التابعة لسروروم في شرق هذا البحر كانت حتمية وفقاً لسياسات الأمويين الخارجية ، فشرق البحر المتوسط تتشر في فيه الجزر التي تقسمه إلى بحار داخلية صغيرة يتصل بعضها البعض عن طريق مضائق وفتحات صغيرة تتحكم في مداخلها أطراف تلك الجزر ، فكانت هذه مضائق أشبه بأعصاب الرجاجات

(١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م . س . ذ ، ص ص ٩٦ - ١١٦ .

- فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري (القاهرة: الدار القرمية للطباعة والنشر ، ١٩٧٥) ص ٢٠٥ - ٢٦٠ .

تكتل للسيطرة عليها قام السيطرة والسيطرة على ما يليها من بحار داخلية وما يطل على هذه البحار من أراضٍ وبلاد، ومن ثم سار الأمويون في استيلائهم على هذه الجزر وفق خطط منطقية محددة مسارها بدقة تهدف إلى تأمين سلامة الفتوحات الإسلامية في البر عن طريق الاستيلاء على الجزر القريبة المجاورة مباشرة لتلك الأرضي المفتوحة ثم متابعة الاستيلاء على غيرها من الجزر التي تحكم في أكبر عدد من المصايف البحرية وذلك لسد كل المنافذ والطرق أمام الاساطيل البيزنطية إذا مارغبت في مهاجمة الأرضي المفتوحة من جهة البحر⁽¹⁾.

وربما كان اهتمام الأمريكان باتباع سياسة جهاد إسلامي واسع في البحر راجعاً إلى أن الطرف الدولي الذي كانوا يتعاملون معه - يعني الدولة البيزنطية - كان يعتمد على أسطول بحري قوي لتحقيق سطوطه العسكرية وتسidine العالمي .

ولقد أدرك معاوية مؤسس الدولة الأموية أثناء فترة ولايته الطويلة للشام والتي احتك فيها عن قرب بالروم البيزنطيين أن قوتهم البحرية هي العامل ذو الأثر القوي في يقائهم كدولة ، ثم أنه خير أثناء اشتراكه في فتح مدن الشام الساحلية مدى خطرا الاسترداد المعرضة له تلك المدن المفترحة نتيجة الهجمات البحرية عليها والتي كانت تطلق من قواطع الروم البحرية (٢) .

ولعل قوة البيزنطيين البحرية كانت السبب المخورى فى تبنى معاوية سياسة الهجوم خير وسيلة للدفاع واقتاعه المبكر بها ، فتعرض مدن الشام الساحلية المستمرة لغزوات الروم البحرية دفعه لأن يطلب من الخليفة عمر بن الخطاب أثناء توليه حكم الشام ضرورة نبذ السياسة البحرية الدفاعية للدولة الإسلامية والتمثلة في وضع حاميات على الشواطئ لصد الهجمات البحرية واستبدالها بسياسة هجومية تعتمد على أسطول إسلامي قوى يقف من الأسطول البيزنطي موقف التد تكون مهمته ليس انتظار هجمات البيزنطيين لصدها وإنما المبادرة بالاستيلاء على جزر البحر المتوسط التابعة للبيزنطيين والتي تشكل قواعد لهم ، ولم يأس

^{١١}) إبراهيم أحمد العلوى، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط (القاهرة ، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٥)، ص ٣٦ .

٢) شاكر ، التاريخ الاسلامي ، م، س، ذ ، ص ص ٧٩ - ٨٢ .
العذري ، ثورات الحجرية ، م، س، ذ ، ص ص ١٢ ، ١٥ - ١٨ .

معاوية عندما رفض عمر طلبه فحاول مع عثمان بن عفان وليح في اقناعه بسياسته المخومية فانطلق يغزو قبرص ثم يفتحها عامي ٢٨ هـ ، ٣٢ هـ لتضحي قاعدة هامة من قواعد الاسطول الإسلامي تنطلق منها السفن لصد سفن الروم قبل اغارتها على شواطئ مصر والشام ، ثم انه غزا رودس أيضا وفتحها فكان فتحها بداية لنشاط بحري إسلامي اتسم بالاشاره صيفا وشتاء على حزر الروم التي تخشى أن ينبعث منها ما يصيب الشام أو مصر^(١) . ثم إن نقل عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق دعم أيضا من السيادة البحرية للدولة الأموية حيث ساهم في تغيير سياسة الدولة من كونها دولة قارية إلى جعلها دولة بحرية تهتم بالتوسيع في البحر المتوسط^(٢) .

والواقع أن سياسات التعامل الخارجي لعاوية الخليفة لم تكن إلا استمرارا ودعما لسياسته كرايل للشام ، والذي تغير كان فقط امتلاكه ك الخليفة قدرة القول الفصل في امضاء السياسة التي يرتأى صوابها ، وهكذا ما أن تولى أمر المسلمين وما أن أمن الجبهة الداخلية حتى وضع سياسته المخومية موضع التنفيذ ببرا وبحرا ، وهي السياسة التي بلغت ذروتها بمحاصرة القسطنطينية حاضرة الدولة البيزنطية^(٣) .

١) علوى ، قوات البحريه ، م، ٣ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

عنان ، مواقف حاسمة ، م، ٣ ، ص ٤٨ .

عثمان ، الخدود الإسلامية ، م، ٣ ، ص ٣٦١ .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وتوريا ، م، ٣ ، ص ٩٦ .

٣) ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، م، ٣ ، ص ٣٦ .

المبحث الثاني : المد الإسلامي في الجبهة الغربية :

أعاد معاوية كرة الصراع مع الروم البيزنطيين فور تأمين الجبهة الداخلية وأدار الصراع معهم وفقاً لمعالم السياسة الخارجية التي أشرنا لها في المبحث السابق ، وإذا كانت آسيا الصغرى من أهم المناطق التي شهدت الاحتلال بين الدولة الاموية والامبراطورية البيزنطية ، فإن التفاعل الصراعي معهم لم يقتصر على هذا الجزء من الامبراطورية البيزنطية بل امتد إلى أملاك أخرى لها في البر - خاصة في شمال أفريقيا وبتأثير فتح المسلمين لمصر - وأيضاً إلى أملاكها في البحر المتوسط ، وهكذا كانت الجبهة الغربية هي ثلاثة جهات في الواقع : بلاد الروم ، وشمال أفريقيا ، وجزر البحر المتوسط .

المطلب الأول : بلاد الروم :

لم تقطع غارات الأمويين أبداً في منطقة بلاد الروم وعاصمتهم والمعروفة اليوم باسم بلاد الأناضول إلا في فترات الفتن الداخلية .

ولقد وصلت تلك الغزوات بال المسلمين حتى أقدام جبال طوروس حيث أقاموا الشغور والقلاع التي كانت تخرج منها الغزوات دوماً خاصة في أوقات الضعف وعدم الاستقرار الداخلي للروم مستهدفة في معظم الأحيان جذب قوات الروم إلى القلب وشغلها بالقتال هناك حتى يتسمى للمسلمين فتح مناطق جديدة وانتزاعها من يد الروم البيزنطيين^(١) . وبالإضافة إلى هذا اهتم الأمويون كثيراً بالصوائف والشوائط التي استهدفت إنهاك قوة الروم وشغلهم في عقر دارهم بسلسلة لا تقطع من الحملات صيفاً وشتاءً ، براً وبحراً ، والتي كانت تعمل كمدرسة تخريج جيل جديد مدرب من المحاربين والقادة العسكريين^(٢) ، ونستطيع أن نرصد في عهد معاوية على سبيل المثال أحدى عشرة شاتية في احدى عشرة سنة وشاتيتين في سنة واحدة إلى جانب

(١) المرجع السابق ، ص ص ٤٠ - ٤١ .

عثمان ، الخلود الإسلامية ، م ٩٠ ذ ، ص ٣٦٦ .

(٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م ٩٠ ذ ، ص ٩٧ .

أربع سنوات خرج في كل منها صافية وشافية^(١) ، ثم إن الأمويين حاوا أيضاً في تعاملهم الخارجي مع الروم البيزنطيين إلى سياسة احاطتهم بطرق من الفوز الإسلامي ليس فقط عن طريق الاستيلاء على مناطق الحدود ولكن كذلك عن طريق معاهدة الأقليات غير المسلمة التي كانت تسكن في تلك المناطق عندما يثبت أن محاولات القضاء عليهم قد تكون مكلفة بأي معنى من المعنى ، ومن أهم الأقليات التي كانت تسكن مناطق الحدود مع الدولة البيزنطية والتي جأت الدولة الأموية إلى معاهدتهم الجراحية والسلاف والأرمن^(٢) ، ولقد استخدم الأمويون الجراحية في نقل أخبار الروم لهم بالرغم من كونهم مسيحيين ومن أنهم كانوا أيضاً مواطنين بيزنطيين حتى انسحاب الدولة البيزنطية من الاماكن التي يقطنونها حيث تركوهم خلفهم ليصبحوا في موقف شبيه بالحكم الذاتي ، ولقد تمكّن الجراحية باستقلالهم في مواجهة المسلمين وقاوموا محاولات الدولة الأموية اخضاعهم لسيطرتها وساعدتهم على ذلك موقعهم المنبع في الجبال والتي كانت تمثل دائماً نقطة تحدّى كبرى لتقدير المسلمين في فتوحاتهم^(٣) .

ولقد ثبت أن سياسة معاهدة الدولة الإسلامية لقوى أو دول غير إسلامية بغرض التناصر والمساعدة هي سلاح ذو حدين ، فالجراحية مثلاً كانوا يتزرون الحباد ويسلدون رغبة في المساعدة طالما تعمّت الدولة الإسلامية بالقوة ولكنهم كانوا دائماً في وضع تربص بهذه الدولة يتهرّبون أي فرصة ضعف أو انشغال لها بأمر غير أمور المواجهة الصراعية فيبدأون بإشارة القلائل حتى أن كلاً من معاوية وعبد الملك بن مروان اضطر إلى دفع مال لهم كأحد بنود الصلح معهم أثناء اشتغالهم بأمور الجبهة الداخلية وذلك لضمان عدم معاونة الجراحية للروم ضدّهم^(٤) .

(١) عليه عبد السميع الجنزوري ، التغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩) ص ص ٢٠ - ٢٥ .

(٢) عثمان ، الحدود الإسلامية ، م.م.٣٠، ص ٣٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

- Glubb , The Empire of the Arabs , pp 103 - 104.

4) Ibid , pp 103 - 104.

ثم إن الدولة الأموية اهتمت من أهل صراعها مع الروم في آسيا الصغرى بالشغور الشامي والبازلرية فجعلت وظيفة الشغور البازلرية الأساسية هي حماية الدولة الإسلامية من هجمات الروم البيزنطيين في حين حددت للشغور الشامي مهمة المحوم على الدولة البيزنطية ذاتها^(١)، ويرجع الفضل إلى معاوية في إقامة نظم عسكرية وإدارية فعالة في الشغور مكنتها من القيام بوظائفها على خير وجه ، فلقد رأينا أن الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين كانت تنظر إلى مدن السواحل بوصفها مصدر عطر دائم لا حد أمان لأنها كان من السهل مهاجمتها في ظل سوء الأوضاع بها وضعف حاميتها بجهل المسلمين - الأمة البرية التقليدية والعقلية بأساليب فعالة لتحسينها^(٢) .

كانت المدن الساحلية في بداية الفتوحات الإسلامية - إذن - حدودا ونهيات فجاء معاوية ليحررها إلى نقط للثواب والانطلاق حتى تخدم سياساته التوسعية ، ومن ثم عمل على وضع برنامج للشغور يضم إلى جانب ترميم المحسون وإقامة أبراج الحراسة والمراقبة والعمل على بناء الأربطة وتشجيع إقامة الجندي في هذه التغور ، ولقد قرن معاوية الربط بمفهوم الجihad حتى أنه ينجح في جذب كل أتقياء عصره إلى الأربطة التي أقام معظمها في مناطق الحدود بالشام ، ولقد طور معاوية من مفهوم الرباط بحيث لم يعد مجرد حصن يتجمع فيه الجندي للدفاع ضد الغارات بل أصبح أساس قاعدة للمحوم وشن الغارات وليس صلها^(٣) .

ثم أن معاوية عمل أيضا إلى تشجيع الاهالي على التزوح إلى مناطق الشغور والاستقرار بها فكان يقطع من يستقر في أحد هذه التغور أرضا هناك مما ترتب عليه ازدياد العمran في هذه

(١) البازلروري ، الشغور البرية الإسلامية ، م، ١٠، ٣٠؛ ص ٢٠ - ٢٥ .

(٢) هاشم اسماعيل الجاسم ، دراسات تاريخية عسكرية عن التغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام في نهاية العصر العباسى الأول - رسالة ماجستير - كلية الأدب - جامعة القاهرة - ١٩٧١ - ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية : تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية (الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية - د.ت) ص ٣٣٩ .

للنطاق واستمانتة اهلها في الدفاع عنها بوصفها أرضهم^(١) وسوف نلحظ أن هذا سيصبح ثابتاً بعد ذلك في الأرض المفتوحة خاصة في الأماكن بعيدة عن مركز الخلافة حيث سنشاهد عدم استقرار الفتح الإسلامي إلا عندما يستوطن المسلمون الأرض ويستقرن بها فيتحولوا من مجرد جند فاتحين إلى سكان مقيمين .

ولقد أثبتت معاوية عن اقتناعه بسياسة الهجوم والواجهة مع الدولة البيزنطية بالعودة السريعة إلى منازلهم بعد أن أطمأن إلى الأمور في الداخل ، فسرعان ما انقض عهده مع امبراطور الروم عام ٤٤٢ هـ ، وكان أول مواجهة إليه نظره هو أرمينية التي كانت قد وقعت للروم أثناء أحداث الفتنة ، ولما كانت أرمينيا تمثل خط الدفاع الشمالي للشام فقد جهز معاوية حملة لاستردادها عام ٤٤٢ هـ وافتتح بذلك مواجهته مع الدولة البيزنطية، وقد بمحبت الحملة في مهمتها وأعادت أرمينيا ليعود الاهتمام الأموي بمتلكات الروم في آسيا الصغرى ولتنظيم الصوائف والشوائب التي تتوجل في هذه المناطق دون انقطاع تقريرا طوال مدة الغزو الأموي هذه باستثناء فترات الفتن الداخلية^(٢) ورغم هذه الغزوات المتتابعة على قلب الامبراطورية في آسيا الصغرى إلا أن الهدف النهائي للدولة الأموية من الغزوات كان هو قلب بيزنطة والعالم القديم وقلعة الروم المنيعة القسطنطينية التي إذا ما سقطت هي سقطوا هم .

والواقع أن معاوية بدأ التفكير والتجهيز لغزو القسطنطينية في فترة مبكرة جداً من خلافته حيث جهز حملة عام ٤٤٣ هـ خرجت لتصل إلى بر جان على مقربة من القسطنطينية يساندها أسطول سار حتى مياه مرمرة ولكن الشتاء منعهم من حصار القسطنطينية فقنعوا ببعض الغارات المحلية ، ولقد استمرت معارية الأربع التالية على هذه الحملة في إعداد جيش جرار وأسطول ضخم عاقدا العزم على ضرورة النجاح في احتراق القسطنطينية^(٣) .

١) الحسن ، دراسات عسكرية عن التغور ، م ٠ س ٠ ذ ، ص ٩٠

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م ٠ س ٠ ذ ، ص ٩٧،٩٦ .

٣) عنان ، مواقف حاسمة ، م ٠ س ٠ ذ ، ص ٣٦ .

ومن العوامل الهامة التي شجعت معاوية على الارساع بمحاولة اسقاط القسطنطينية هو شعوره بأن الظروف الداخلية في الامبراطورية متزدبة بصورة قد يجعل أمر اسقاط العاصمة يسيرا فارتدى ضرورة اغتنام الفرصة ، ونمط استغلال كلا الطرفين الإسلامي وغير الإسلامي لسوء الأحوال الداخلية لدى الطرف الآخر لتحقيق نصر حاسم عليه سوف نلحظه قائما على طول التاريخ بين القوى الإسلامية والقوى غير الإسلامية .

فعام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٨ م وهو العام الذي قرر فيه معاوية ارسال حملة لاسقاط القسطنطينية كان قد شهد مقتل الامبراطور البيزنطي وثورة (صابو) أحد حكام المناطق المحاورة لأرمينيا ولقد توجت هذه الأحداث فترة قلقل داخلية عنيفة نتيجة الصراع الدینی حول الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد المسيح^(١) وجد معاوية أن الفرصة سانحة ليضرب ضربته قبل أن تنظم الدولة البيزنطية أمورها وتلملم شباتها خاصة أنه كان قد شعر بالخطورة لفترة عندما لاحظ محاولة الامبراطور المقتول توحيد الجبهة الداخلية ليتفرغ خاربة المسلمين بأن قضى على الشابرين في الداخل وأخضع السلاف على الحدود بعد محاولتهم الاتصال بالمسلمين وانتصر على البابا في نزاعهما الدينى^(٢) ومن ثم رفض معاوية طلب ابن الامبراطور المقتول الصلح وارسل بطلائع قواته عام ٤٦٨ هـ فاحتقرت آسيا الصغرى وافتتحت حصوناً كثيرة في الأنضول تمهدًا للحشد الأساسي الذي أرسل عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م والذي طعم بكلار الصحابة - بهجوار ابنه يزيد - مما أظهر ما للحملة من صفة الجهاد الدينى، ولقد حاول المسلمون عبئاً احتراق أسوار القسطنطينية بعد حصارها إلا أنهم فشلوا في ذلك فارتدوا دون خسائر كبيرة عام ٤٥٠ هـ .

٦٧٠ م(٣)

١) رسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي - ص ص ٣٨ - ٤١ .

٢) ابراهيم أحمد العدوى ، الأمويون والبيزنطيون : البحر المتوسط بمجرة إسلامية (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٠٣) ص ص ٦٥ - ٧٢ .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م ، س ، ٣ ، ص ٩٨-٩٩ .

وكان الدرس الهام الذي تعلمه معاوية - أو لنقل تذكره - من هذه الحملة هو ضرورة تدعيم القوات البرية التي تغزو القسطنطينية بقوات بحرية ضخمة حيث تحيط المياه بالقسطنطينية من ثلاث جهات وعكف على تجهيز هذا الاسطول مدة أربع سنوات استطاع خلالها تدريسه عملياً باستداد رودس عام ٥٢ هـ / ٦٧٢ والتى كان الروم قد استذوها أثناء أحداث فترة حلفاء عثمان ، ثم جزيرة كريوكوس عام ٥٤ هـ / ٦٧٤ والتى سيجعل منها المسلمين مقراً لإدارة الحصار الثاني للقسطنطينية والذى بدأ عام ٥٤ هـ . ولقد وصلت القوات الإسلامية وحاصرت القسطنطينية براً وبحراً من ابريل إلى سبتمبر ثم ارتدت عنها مع قドوم الشتاء إلى جزيرة كريوكوس ثم عاودوا الحصار في الصيف التالي ليتردوا في الشتاء مرة أخرى واستمر الأمر على هذا المنوال يحاصرون صيفاً ويرتدون شتاءً حتى عام ٦٠ هـ / ٦٧٩ عندما قرر معاوية بصفة نهائية الانسحاب فعقد صلحًا مع الروم مدته ثلاثون عاماً وانسحب بعد أن فقد العديد من الزعماء وتلذين ألف مقاتل ومعظم سفن الأسطول . ومن أسباب الفشل الانهاك الذي تعرض له الجيش الأموي طوال سنوات الحصار واستخدام النار اليونانية ضد الأسطول الإسلامي ، والعواصف العنيفة التي دمرت القليل الذي تبقى من سفن الأسطول أثناء الانسحاب (١) .

وكان لنجاح البيزنطيين في صد المسلمين عن القسطنطينية مرتين في غضون عشر سنوات تقريباً وتمكنهم من عقد اتفاقية سلم لصالحهم معنى أعمق من النتائج الظاهرة المادية ذلك أن غاية الأمرين من فتح القسطنطينية لم يكن مجرد الاستيلاء على قطعة أرض إضافية وإنما كان المأمول أن تضحي القسطنطينية البوابة التي تخترقها دعوة الإسلام في طريقها إلى الشعوب المسيحية في الغرب لتحقيق الهدف الدولي للدولة الاموية وهو تسيدها وحدتها بوصفها حاملة رسالة الإسلام العالمية على العالم (٢) .

(١) المرجع السابق ، ص ص ٩٨ - ١٠٢ .

- د . عبد السلام الزماني ، أزمة التاريخ الإسلامي ، ج ١ ، مجلد ١ ، (الكريت : ١٩٨٢) ص ٣٣٧ .

- عنان ، مواقف حاسمة ، م ، م ، ٣ ، ص ص ٣٦ - ٣٨ .

- رستم ، الروم ، م ، م ، ٣ ، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) عنان ، مواقف حاسمة ، م ، م ، ٣ ، ص ٣٨ .

ولذا فان فشل جيش معاوية في مهمته مرتين لن يفت في عضد الأمويين وستتجدد أن خليفته لا يقل اقداماً وقوة وشكيمة عن معاوية يعاود المحاولة مرة أخرى بعد ستة وثلاثين عاماً من ارتداد القوات الإسلامية من أمام أسوار القدسية عام ٦٠ هـ .

وما يسترعى الانتباه هنا هو أنه رغم أن بعض المؤرخين من أمثال فلهمازن يرى أن الدافع الأساسي الذي دفع معاوية إلى قبول الصلح هو الحالة المتردية التي أصبحت عليها قواته بعد حصار دام سبع سنوات ، فإن هناك مؤرخين آخرين يركزون بشدة على عنصر تماسك الجبهة الداخلية فيؤكدون أن المشاكل الداخلية التي فجرتها محاولات معاوية انتزاع البيعة لابنه يزيد حول عام ٦٠ هـ هي التي دفعته إلى عقد الصلح حتى يتفرغ لأمر الجبهة الداخلية وأنه لولا تزامن هذه الأحداث الداخلية مع تردّي أحوال الجيش لما وافق معاوية على الانسحاب (١) .

ولقد توفى معاوية في نفس عام الانسحاب من أمام أسوار القدسية وقبل وفاته جاءت أحداث أخذ البيعة لابنه يزيد ولقد مات دون أن يُسلم بالبيعة لابنه بعض من أبناء كبار الصحابة في المحاجز وعلى رأسهم الحسين بن علي بن أبي طالب وعبد الله ابن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فلما تولى يزيد بعدها ثورة فكان هذا نذير شر وحيم وفتنَة أعمى من فتنَة عثمان وأشد وطأة على الأمة الإسلامية استمرت اثنى عشر عاماً دون انقطاع توقف فيها الغزو والفتح على جميع الجهات وخاصة مع الروم البيزنطيين بسبب انشغال البيت الأموي خلال فترة حكمه خلفاء متsequين بالمشكلات الداخلية الخاصة بالتمكين تحكمهم ، رغم انتقال الحكم أثناء هذه الفتنة الطويلة من البيت السفياني إلى البيت المرواري بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية دون أن يعهد لأحد عام ٦٤ هـ إلا أن الفتنة لم يخمد أوارها ، ولقد عانت الأمة كل أنواع الفتن والقلاقل في هذه الفترة فكان هناك أولأ حلّم الحسين البيعة ليزيد ثم مقتل الأول وثني ذلك ثورة ابن الزبير واستقلاله بأمسار عدّة من أقاليم الدولة

١- عثمان ، الحدود الإسلامية ، م، ج، ٣ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(١) عثمان ، الحدود الإسلامية ، م، ج، ٣ ، ص ٥٣ .

الإسلامية دونا عن الأمويين بل واعلانه نفسه خليفة للمسلمين وتسليم أمصار عدة له بذلك حيث تجلت هنا الصراعات القبلية التي ستكون سبباً رئيسياً في انهيار الدولة الأموية في النهاية حيث ناصر القيسية ابن الزبير في حين اخوازت القبائل اليمنية للمرورانيين من بني أمية، ثم كانت فتنة عمرو بن سعيد بن الأشدق الذي نادى عبد الملك بن مروان السلطة في الشام ذاتها معقل البيت الأموي وقلعته المنيعة ، هذا فضلاً عن فتن الشيعة متمثلة في حركة المختار وفن الحوارج وهي الفتن التي كانت تعمل بين العامة والبسطاء من الناس وتقلبهم على أصحاب السلطة من الأمويين^(١) .

وكان لانشغال الدولة طوال هذه الفترة المتدة بالفنون الداخلية آثار بالغة على علاقاتها مع الطرف الدولي المتأوى : الدولة البيزنطية نقلها من موضع الهجوم والعلو إلى موقف الدفاع والرُّضوخ ، فهذه الفتن قد أطمعت الدولة البيزنطية فحاولت التحرك بسرعة لاغتنام فرصة اضطراب الدولة الأموية فنقضوا صلحهم مع معاوية عام ٦٨٥ هـ / ٧٧٥ م وهاجموا منطقة الشعور في مرعش وملطية التي كانت طريق الصوافف الإسلامية التي طلما أقامت مضاجع الروم لأنها لم تتوقف أبداً حتى في سنوات الاعداد لحصار القدسية بل وأنباء حصارها أيضاً^(٢) .

ولقد أضطر عبد الملك بن مروان لتجديد الصلح معهم عام ٦٦ هـ لانشغاله بالتمكين لحكمه ولكتهم عادوا ونقضوه بعد ثلاث سنوات مهاجمين سواحل الشام حيث استولوا على بعض مدنها وخرابها ، ثم إن الروم البيزنطيين حاوا أيضاً إلى الأسلوب الذي طلما كان يستخدم من قبل الطرفين وهو مخالف ساكتي الحدود ، حيث نجح الروم في اقناع المراجمة بإشارة القلاقل رغم شروط صلحهم مع معاوية ، فكانتوا مصدر كثير من المتابع للدولة الأموية في هذه الفترة الحرجية وكذلك نقض أهل إرميبيا عهدهم مع الدولة الإسلامية في ذات الفترة^(٣) .

١) انظر تفاصيل أحداث الفتنة في :

رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م٠٣٠ ، ص ١٠٢

شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠٣٠ ، ص ١٣٣ - ١٦٩

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م٠٣٠ ، ص ١٠١ - ١٠٢

٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣

وفي عام ٧٠ وصلوا المصيصة ونزلوها مستهدفين دخول الشام ذاتها فما كان من عبد الملك بن مروان الا أن سارع بمعهادتهم على مال يحمله لهم أسبوعياً كما فعل نفس الشيء مع الجراجمة^(١).

وإذا كانت أحداث الفتن الداخلية من ٦٠ هـ - ٧٢ هـ قد ادت إلى انكسار الدولة الاموية في صراعها مع الروم البيزنطيين ، فإنه ما ان استقرت الأوضاع في الداخل - ولو جزئياً - حتى بدأ الأمويون يعاودون الم horm بعنف ويحققون الفتوحات والانتصارات ، فما ان بُرِيع عبد الملك بن مروان في العراق بعد مقتل مصعب بن الزبير عام ٦٩١ هـ - ثم في الحجاز واليمن بعد مقتل عبد الله بن الزبير ٦٩٢ هـ (وكان قد بُرِيع خليفة في مصر والشام عام ٦٤ هـ) فتحقق للبيت المرواني الشرعية السياسية والدينية حتى نقض صلحه مع السرور وعاد منازلتهم فردهم في الاناضول وارمينيا واستعاد بعض ما كانوا قد استردوه أثناء انشغاله بالداخل^(٢) كما انه عاود الصوائف مرة اخرى بعد توقف طويل بسبب أحداث الفتنة ، وتجدر التذكرة هنا أن هذه الصوائف لم تتوقف لمدة سبع سنوات متالية كما ذكرنا سابقاً وفي هذا دلالة خطيرة على مدى تأثير البيئة الداخلية على فاعلية التفاعل الخارجي في ذلك الوقت حيث إنها أظهرتهم وقد استعادوا قدرتهم على الم Horm مرة اخرى^(٣) .

ولكن سرعان ما أصبت هذه الطفرة الجديدة بانتكاسة خطيرة بسبب فتنة ابن الاشعث عام ٧٩ هـ - ٦٩٩ م والتي جسدت عدم رضا الطبقة الاستقراطية العربية على بعض أساليب

- شاكر ، التاريخ الاسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ٢٠٢ .

١) ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ١٧٣ .

- أحمد بن زيني بن أحمد دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية (القاهرة : موسسة الحلبى ، ١٩٨٦) ص ١٩٥ .

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م٠س٠ذ ، ص ١٠٣ .

٢) د. عبد السلام الترماني ، م٠س٠ذ ، ص ٣٦٦ ، د ، وسام فرج ، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأرسط ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، المجلوبة التاسعة ، الرسالة الثالثة والخمسون ، ١٩٨٨ ، ص ٥٣ .

٣) Glubb , op . cit , p 100 .

السلطة الحاكمة فما كان منها الا أن أعلنت العصيان في أحضر صوره بأن أبى الجند العرب بقيادة القائد المسلم ابن الأشعث معاهدته صلح مع حاكم كابول غير المسلم رغم انهم كانوا في طريقهم لمنازلته اصلاً وذلك حتى يتفرغوا لادارة تمرد هم على الخليفة ، وبهذا خطوا السطر الأولى في قصة طويلة حزينة من التحالفات بين المسلمين وغير المسلمين ضد طرف مسلم والتي ستتصبح -في أوقات الضعف والتشتت الإسلامي- القاعدة وليس الاستثناء^(١) وبالاضافة إلى الآثار الروحية لهذه الفتنة على التحرك الأموي الخارجي في مواجهة الروم البيزنطيين حيث تقدموا بسرعة لاغتنام الفرصة ووصلوا في هذا العام إلى انتاكية^(٢) . فانه كان لها آثار واضحة على إعادة بناء الجيش الأموي والذي سيكون له دوره آثار بعيدة المدى على بقاء الدولة الأموية ذاتها ، فلأن هذه الفتنة شهدت اشتراكاً مكثفاً من عرب الكوفة والبصرة بها كانوا من أنواع الاحتجاج على السيطرة الشامية فان رد فعل المركز في دمشق كان هو بناء واسط كعاصمة جديدة لإقليم العراق شجناها بالمقاتلة من أصل شامي للقيام -بدلأ عن العراق- بالتحولات على الجبهة الشرقية .

وبحلول علافة هشام بن عبد الملك ستتصبح كل الحاميات العسكرية على كل الجبهات - وليس على الجبهة الشرقية فقط - من أصل شامي^(٣) وسيكون هذا التحصّب لإقليم الشام على حساب أقاليم أخرى خاصة العراق والخجاز احد أسباب ضعف الدولة الأموية نتيجة ماسيولده من صراعات ستؤدي إلى انهيارها في النهاية .

١) انظر تفاصيل فتنة ابن الأشعث

- Shacban , op. cit .

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ص ٢٠٢ .

٣) ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، م، س، ذ، ص ١٦٠ - ١٧٠ .

-Hodgson , op.cit , Vol.1 , PP 219 - 223

-Shacban , op. cit ,PP. 90 - 99 .

ورغم أن عبد الملك بن مروان عاود كرة الصراع مع السرور البيزنطيين مرة أخرى بعد أن استقر الداخل ، ورغم أنه استأنف الصوائف والشواطى واهتم بتحصين الشعور ، ورغم خروجه على رأس بعض الحملات بنفسه ورغم تحاجه في استعادة بعض ماضع من الدولة الإسلامية مثل المضيق التي استردها عام ٨٤ هـ بعد أربعة عشر عاماً من وقوعها في يد البيزنطيين ، إلا أنه لا يمكننا القول إنه قد حدث تغير خطير لصالح المسلمين في هذه الجبهة . ولأن حركة الفتوحات قد عادت بكمال قوتها في عهده فلقد اهتم عبد الملك مثلاً اهتم معاوية قبله بأمور الجبهة الداخلية حتى ليتغير المؤسس الثاني للدولة الأموية ، ولم ترك له الفتن الكثيرة والممتدة لفترات طويلة فضلاً من الوقت والجهد يستطيع أن يستمره بنفس الكفاءة على الجبهتين الداخلية والخارجية ، ففضل أن يؤمن الجبهة الداخلية ويدعمها ، وكان عمله هذا هو الذي هيأ حركة مد كبيرة شهدتها الدولة الأموية في عهد ابنه وخلفيته الوليد بن عبد الملك^(١) .

ففي عهد الوليد بن عبد الملك وبفضل الانجازات الداخلية الهامة لوالده والتي تعتبر بحق جهاداً من نوع خاص سبباً حركة فتوحات واسعة لن تقتصر على المد والتوصّع في الجبهات التي وطأتها أقدام المسلمين قبله وإنما ستشهد فتحاً جبهة جديدة هامة في أوروبا حيث سبباً المواجهة بين المسلمين والقرطاجيين في أوروبا بعد نجاح المسلمين في فتح إسبانيا مما سيحقق الهدف الأموي الثابت وهو فتح القسطنطينية ، ولكن هذه المرة من الغرب كما سوف نرى بعد قليل عند الحديث عن هذه الجبهة ، وسوف يغير البيزنطيون على الارتداد لموقف الدفاع مرة أخرى في عهد الوليد (٩٦-٨٦ هـ) والتي ستنتهي فيه الصوائف والشواطى مرة أخرى دون انقطاع ، والذي سيستهل عهده بفتح حصن طوانة عام ٨٨ هـ وهي مفتاح الطريق بين الشام والبوسفور بعد أن كبد البيزنطيين خمسين ألف قتيل ، ثم فتح عمورية وهرقلية عام ٨٩ هـ ، ثم الأهم من ذلك بداية التفكير في مدى مناسبة الوقت لاسياء هدف استعادة القسطنطينية مرة

1) Hodgson , op. cit, Vol .1 , P 245 .

- Bernard Lewis , The Arabs in History (New York : Harper , Row Publishers, 1960) P 75.

آخر(١) ، فالدولة الأموية كانت قد بلغت ذروة مجدها الحربي وقوتها العسكرية، ذلك في الوقت التي كانت تعانى فيه الإمبراطورية البيزنطية من فوضى مدمرة بسبب الصراع على العرش واقتحام البلغار والصقالبة إقليمها الشمالي واقتحام المسلمين آسيا الصغرى ووصولهم إلى البوسفور(٢) .

وهكذا بدأ الوليد بعد العدة للإيقاع بالقدسية قلم تعد الصوائف غارات روتينية على أراضي العدو تتوجّل في آسيا الصغرى ثم ترتد إلى الشגור بل أصبح لها خططا واضحا هدفه التقدم المستمر بالفتح نحو القدسية(٣) وزاد من ذلك الاعداد لحملة بحرية وبرية بلغت ضخامة الاستعداد لها أن وصلت أنباءها إلى العاصمة البيزنطية ذاتها فهال الإمبراطور الأمر وببدأ يستعد لزيارة طويل مع المسلمين(٤) .

ولم تفت وفاة الوليد في عهد المسلمين بل أكمل حلفه سليمان بن عبد الملك الاستعداد لاجراء هذه الحملة بحماس متقطع التظير ونسق في سبيل ذلك بين القوات البرية والبحرية وكذلك بين قوات الشام ومصر(٥) . وهو التقليد الذي بدأ منذ معاوية والذي سرّاه بعد ذلك كثيرا مع كل قائد عسكري عظيم ، وخرجت الحملة بالفعل متوجهة نحو القدسية عام ٩٨ هـ / ٧١٦ لتبدأ الحصار الثالث للقدسية والذي يعتبره الكثير من المؤرخين نقطة تحول خطيرة في تاريخ علاقات المسلمين بغير المسلمين ، ولقد انتهت هذا الحصار الذي استمر عامين بالفشل في اقتحام القدسية كما حدث في الحصار السابق له ، ويرجع فشل هذا الحصار

(١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١٠٣ .

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

Glubb , op. cit , P 150 .

(٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ص ١٠٧ .

- عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ص ٣٨ - ٣٩ .

3) Glubb , op. cit , P. 150 .

(٤) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ص ١٠٧-١٠٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

الثالث إلى العديد من الأسباب بعضها كان عاماً هاماً في فشل حصار السبع سنوات السابق وبعضها ظهر حديثاً في الحصار الأخير ، ومن الأسباب المتكررة قسوة الظروف الطبيعية ، ومهارة المهندسين البيزنطيين في استخدام النار الأغريقية وكذلك عزم أهلها واستماتتهم في الدفاع عنها يساعدهم على ذلك منعة أسوارهم و موقعها^(١) .

أما أهم الأسباب المستجدة والتي أدت إلى فشل هذا الحصار فهو محالفه المسلمين لأحد الروم البيزنطيين وهو القائد العسكري ليو الآيسوري والذي كان طاماً في عرش بيزنطة فقاوموا المسلمين على أن يتركوه يدخل القدسية ويساعدوا لينصب نفسه أميراً طوراً عليهما ليهدى المسلمين دعوهما ، ولقد أحابه المسلمون إلى طلبه فنفذ المجزء الأول من العهد والذي ينتهي بتنصيبه أميراً طوراً باسم ليو الثالث ثم نقض باقي عهده وهو مساعدة المسلمين ، بل إنه أفاد من معرفة بعض خططهم في الخجاج صدهم عن أسوار القدسية^(٢) .

وهذا يؤكد ماسبق أن أشرنا إليه من أن معاهدة المسلمين لأطراف غير إسلامية بغرض التناصر ضد طرف غير إسلامي إنما هو سلاح ذو حدين وأن عواقب استخدامه بغير حرص وخيمة وحاسمة .

ومن المظاهر الإيجابية التي ظهرت واضحة في هذه الحملة والتي سرعان ما استفدها الدولة الإسلامية بعد قيام الخلافة العباسية وظهور حركات الاستقلال والانفصال هو التناصر بين الأقاليم المكونة للدولة الإسلامية بوصفها كلاً لا يتجزأ ، فائتمان معاناة المسلمين تحت أسوار

^(١) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

- عنان ، مواقف حاسمة ، م ، س ، ٣ ، ص ص ٤١ - ٤٣ .

^(٢) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م ، س ، ٣ ، ص ص ٣٩١ - ٣٩٤ .

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م ، س ، ٣ ، ص ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ١ : الدولة العربية ، القاهرة : (مكتبة التهضة المصرية ، ط ٧ ، ١٩٦٤) ص ٣٢٣ .

القسطنطينية كان يأتي المدد من كل الأقاليم بما فيها مصر وأفريقية (تونس) (١) أما في العصر العباسي فسوف نرى أن مشاريع الفتح سيقوم بها المغرب في الانفصال عن المشرق ودون مساندة منه والعكس صحيح .

ولقد كانت هذه الحملة الثالثة على القسطنطينية أعظم وأضخم الحملات التي استطاعت قوى الإسلام أن تغدقها طریقة القوى غير الإسلامية وكانت أعظم بجهود استطاع أن يبذلها المسلمين لحمل لواء الإسلام إلى أمم الغرب غير الإسلامي ، ثم إن الظروف لم تكن ولن تكون أبداً مواتية لتحقيق هذا الهدف إلا بعد سبعة قرون عندما سينجح الأتراك المسلمين في فتح القسطنطينية ، فوقت خروج هذه الحملة الثالثة كانت الدولة البيزنطية قد وصلت إلى أسفل درك الضعف وعدم الاستقرار ، أما أوروبا فكان يسودها التمزق والصراع السياسي ويتنازع سيادتها الروحية والنصرانية ، هذا كان في وقت كانت قد وصلت الدولة الإسلامية فيه إلى ذروة قوتها (٢) . وهكذا فإن فشل هذه الحملة كان عميق الأثر في مصائر الإسلام ، فلقد حال اخفاق المسلمين في فتح القسطنطينية دون انتشار الإسلام في أوروبا ولو كان المسلمين قد نجحوا لتغير اذن مصير أوروبا ولنشأت فيها امم غير الأمم ودين غير المسيحية ، أي لو نجحت تلك الحملة لكانت الدولة الاموية قد نقلت النظام الدولي من نظام ثنائى الأقطاب إلى نظام أحادى الأقطاب يتسيده المسلمين وتتدخل فيه أوروبا ضمن ديار الإسلام وتتغير مسار ومعنى العلاقات الدولية (٣) .

ويرى بعض المؤرخين أن من الآثار الخطيرة والخاسمة لفشل هذه الحملة أن الدولة الإسلامية بدأت تتخلى عن التوجه إلى الخارج وتركت أكثر على ترتيب الأمور في الداخل ، أي أنها

(١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١١١

(٢) عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ص ٣٨ - ٤٤ ، ٣٩ - ٤٤

(٣) المرجع السابق ، ص ص ٤٤ - ٤٥ .

رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١١٣

بدأت تتخلى عن التركيز على الفتح والتوسيع وتهتم أكثر بأمور الأدارة والزراعة
 الح(١) ، بل إن منهم من يؤكد أن هذا التوجه لم يبدأ بسب فشل الحصار وإن كان هذا الفشل قد جعله واضحاً للأعين وإنما هو توجيه بدأ متزدداً منذ بداية عهد سليمان بن عبد الملك ، والشاهد على ذلك كثيرة منها ابعاد سليمان لكل ولاة الجبهة الشرقية الذين عرفوا بأعمالهم الفتحية ، كما سوف نرى ، ومنها أن غطت الميلات على هذه الجبهة في عهده إنما كان لشبيث القدام وليس للتوسيع ، بل إن حصار القدسية ذاته في عهد سليمان يرونه خطوة على هذا الدرب موكدين أن سليمان أراد أن ينهي بهذه الطريقة وإلى الأبد القتال على الجبهة البيزنطية بمحاولة تحقيق نصر حاسم فيها(٢) .

وبغض النظر عن صحة هذا الرأي من عدمه ، فإن معظم المؤرخين يتفقون على أن فشل حملة القدسية الثالثة كان أرهاصاً تغير في استراتيجية التعامل الخارجي للدولة الاموية ، وإن ظل أمضاوه بصورة حاسمة غير قائم حتى زوال هذه الدولة ، فبالإضافة إلى الآثار النفسية المعنوية والآثار السياسية فإن فشل هذه الحملة كان له آثار اقتصادية وخيمة نتيجة مبالغ في سبيل إعدادها دون أن يعرض بأى نصر ، كما أن فقدان الدولة لأسطول كان ضياعاً لأحد أعمدة بنائها العسكري الأساسية(٣) وبهذا استنفذت المرحلة الإسلامية الزاحفة منذ بداية عهد الخلفاء الراشدين ، والتي استأنفها الأمويون ، طاقاتها .

وكرس من الآثار السلبية لهذا الفشل أن هذا الانكسار الإسلامي زامن انتعاش على الجانب البيزنطي الذي خرج ظافراً من هذه المعركة بقيادة ليو الثالث الذي بدأ يعيد تنظيم دولته من الداخل واستمر حكمه من عام ١٠٠ - ١٢٣ هـ / ٧٤١ - ٧٦٧ م بل وزامن هذا الانكسار على الجانب الإسلامي أيضاً انتعاشاً أيضاً في الغرب المسيحي بظهور شارل مارتل (٩٦ -

1) Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 268 , n . 14 .

2) Shabban , op. cit , pp. 127 - 129 .

3) Lewis , op. cit , p 67 .

١٢٣ / ٧١٤ هـ (٧٤١ م) والذي سينت الحيوة في مملكة الفرنجة وسيستطيع أن يحقق نصراً حاسماً على المسلمين في موقعة بلاط الشهداء عام ١١٤ هـ^(١) ، وهي الموقعة التي ستترك آثاراً السلبية على حركة المد الإسلامي في المغرب لتساوي فشل آثار حملة القدسية الثالثة في المشرق .

خلص مما سبق إلى أن فشل هذه الحملة الضخمة على القدسية حصل لزاماً على الدولة الأموية أن تعيد النظر في سياسة الفتح ولقد قبض الله للدولة الأموية في ذلك الوقت علية لاتكيل إلى سياسة الفتوحات كسبيل لنشر الإسلام لما تكلفه من أرواح ونفقات وهو الخليفة عمر بن عبد العزيز والذي استهل حلافه باستدعاء القوات المسلمة لمعسكرة حسول القدسية عام ١٠٠ هـ / ٧١٨ م وليداً في هذا العام اذن فصل جديد في تاريخ العلاقة بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية .

المطلب الثاني : جزر البحر المتوسط :

كسبت الفتوحات الشامية المصرية للMuslimين منذ عام ١٧ هـ مدنًا ساحلية تمتد من انطاكية شمالاً حتى ساحل برقة غرباً كان لا بد من الدفاع عنها ، ولقد كانت مسألة تمكين المسلمين من السيادة على البحر المتوسط الشرقي هو شغل معاوية الشاغل منذ كان والياً على الشام في خلافة عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ، ولقد أدرك - كما ذكرنا - أن قوة البيزنطيين البحرية هي سبيل بقائهم وأن افتقاد الدولة الفارسية لهذه القوة هو الذي جعلهم يفقدون الشام للبيزنطيين ثم جعلهم يسقطون بعد ذلك أمام هجمات المسلمين^(٢) ، وأن البيزنطيين كانوا يستخدمون جزر البحر المتوسط كقواعد لشن غارات مستمرة على سواحل المسلمين ينهكرونهم بها فإن احتلال هذه الجزر كان هو حجر الزاوية في سياسة معاوية البحرية إزاء الدولة البيزنطية ، ولما كانت سياسة عمر بن الخطاب دفاعية بالأساس ، اضطر معاوية أثناء

١) Hodgson , op. cit, p 244 .

- انظر أيضاً : فرج ، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية ، م، ج، م، ص ١٧٤-١٧٥ .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، ج، م، ص ٩٦ .

ولايته للشام أن يقوم بإجراءات بحرية لمواجهة خطر البيزنطيين القادم من البحر من قبيل ترميم القلاع وشحنها بالمقاتلة وأضافة نقط المراقبة^(١) ورأينا أن معاوية ظلل على اقتناعه بضرورة اتباع سياسة بحرية هجومية في مواجهة البيزنطيين حتى أذن له عثمان بن عفان بغزو البحر عندما رأى نجاح البيزنطيين في الاستيلاء على بعض موانئ الشام وعلى الاسكتدرية ذاتها ، فكانت أول غزوة له فيها عام ٢٨هـ وقت ولايته ففتح قبرص ولم يسترجع بعدها أبداً أمام البيزنطيين في البحر ، فغزا قبرص مرة أخرى وغزا صقلية غزوة استطلاعية وابع ذلك بغزو رودس^(٢) ثم انتصر اسطوله على الاسطول البيزنطي في موقعة ذات الصوارى عام ٣٤هـ وبذلك قضى على تسلط البيزنطيين البحري في حوض المتوسط وانهى أحالمهم في امكانية استرداد ما فقدوه من أملاك في شرق هذا البحر^(٣) .

ولقد اتبع معاوية في سياسة البحرية نفس الاجراءات التي كان يتبعها في سياسة المواجهة مع الروم البيزنطيين في البر ، فهو مثلاً كان يؤمن بسياسة تداعي الفتوحات في البحر كما كان يؤمن بها في البر ، فمنذ أن بدأ بفتح قبرص عام ٢٨هـ وهو يواصل فتوحاته البحرية فنزل جنوده صقلية عام ٤٨هـ ليقضى على محاولات الامبراطور قسطنطين الثاني جعل صقلية قاعدة لحماية أملاكه بعد أن فقد عدة جزر غيرها ، ثم فتح جزيرة حرباً عام ٥٤٩هـ ، وفي عام ٥٣٥هـ فتح رودس وفي عام ٥٥٤هـ فتح جنوده كريوكوس لتصبح قاعدة لخسار القسطنطينية ، وفي عام ٥٥٥هـ فتح كريت وبعد عامين فتح جزر ائحة القرية من القسطنطينية^(٤) .

١) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ذ ، ص ص ٣٦٩-٣٦٨ .

علوي ، الامريون والبيزنطيون ، م، س، ذ ، ص ص ١٥٤ .

٢) شاكر ، التاريخ الاسلامي ، م، س، ذ ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ذ ، ص ص ٣٧٣-٣٧٢ .

٣) عدري ، القرارات البحرية ، م، س، ذ ، ص ص ٥٠ - ٥١ .

- ماهد ، التاريخ السياسي ، م، س، ذ ، ص ص ٣٤ .

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، س، ذ ، ص ٩٦ .

٤) شاكر ، التاريخ الاسلامي ، م، س، ذ ، ص ١٠٥ .

ثم ان معاوية اتبع أيضا سياسة تعريب الجزر المفتوحة حيث كان لا يكتفى بترك حامية بها بعد فتحها وانما كان ينقل اليها أعداداً كبيرة من السكان مثلما حدث في فتح رودس وقبرص وكريوكوس ، وقام باقطاع الجند الذين غزوا تلك الجزر أراضي من تخلف عن استكمال الغزو في جزر أخرى ، كما انه شجع على استيطان المدن والمحصون الساحلية التي خرج منها سكانها البيزنطيون أثناء حركة الفتوحات . ولقد تحكم معاوية من انشاء اسطول ضخم ونظم التعاون التام بينه وبين الجيوش البرية بحيث لم يعد الاسطول مجرد جزء مكمل لقوة الدولة العسكرية بل أصبح أحد الأعمدة الأساسية لهذه القوة ومكون أساسى لكل خطة هجومية، ولقد تجلى ذلك تماما في حصار القدسية الشانى الذى عرف بحرب السنوات السبع كما رأينا قبلًا(١) .

وربما بتأثير الضربة القاصمة التي أصابت الاسطول الإسلامي في حصار القدسية الشانى، إضافة إلى أحداث الفتنة التي ألمت بالدولة الأموية بعد وفاة معاوية والتي استمرت أئمدة عشر عاماً فان السياسة البحرية الهجومية للدولة الأموية شهدت تراجعاً ملمساً لفترة ليست بالقصيرة بلغ من وطأتها أن كان الخليفة يجاذب باحتمال فقد الجزر البحرية المفتوحة لصالح البيزنطيين مثلما حدث في عهد يزيد بن معاوية الذي اضطر إلى استدعاء حامية قبرص إلى الشام أثناء فتنة ابن الزبير للمساعدة في مواجهة هذا الخطر الداخلي(٢) .

وكمما توقف الغزو في أرض الروم في آسيا الصغرى أثناء الفتن التي بدأت بأخذ البيعة ليزيد فإنه توقف أيضاً في البحر ، ويذا وكان البيزنطيون سيسيديون مرة أخرى على حوض المتوسط وبدأ المسلمون يعانون من وطأة هجماتهم الآتية من البحر خاصة من صقلية والتي كان لها أثر

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، ج، ٣ ، ص ٣٧٩-٣٨٠ .

- الحاسم ، دراسات عسكرية عن التغور ، م، ج، ٣ ، ص ٩٠ .

(١) العدوى ، القوات البحرية ، م، ج، ٣ ، ص ٥٣ .

2) Shacban , op. cit , P. 99 .

عميق في تقهقر المسلمين في جبهة شمال أفريقيا في تلك الفترة ، كما سوف نرى^(١) . ولما استعادت حركة الفتوحات قوتها مرة أخرى مع الوليد بن عبد الملك اتعشت الجبهة البحرية كذلك وركز المسلمون بالطبع على جزيرة صقلية التي أخذها البيزنطيون قاعدة بحرية لارسال حملاتهم الهجومية على كافة مدن السواحل الإسلامية في حوض المتوسط شرقه وجنوبه فوجهت إليها حملة كبيرة عام ٤٨٤ هـ ، ولكننا سنرى أن جزيرة صقلية التي سوف يستميت البيزنطيون في التمسك بها لن تفتح أبوابها للMuslimين إلا بعد أكثر من قرن من الزمان في عملية من أطول عمليات الفتح التي عرفها التاريخ الإسلامي .

وسيهتم الوليد اهتماما عظيما ببناء اسطول ضخم متبعا نفس منطق معاوية في سياساته البحرية خاصة أنه كان يستعد لفتح القسطنطينية التي يحيطها البحر من ثلاث جهات ، ولقد شارك الأسطول الإسلامي بالفعل في الحصار الثالث للقسطنطينية ووصلت عدته وفقاً لبعض الروايات خمسة آلاف سفينة وفي رواية أخرى ثانية عشر ألفاً تحطم معظمها في هذه الحملة^(٢) .

وكان تحطم الاسطول الذي انفق المسلمين سنوات طويلة وأموالاً طائلة في بنائه أحد الاسباب المباشرة التي دفعت القائمين على الدولة الأموية إلى إعادة النظر في سياستها الفتحية الهجومية بعد عام ١٠٠ هـ حيث فقدت دعامة أساسية من دعامتها سياسة المواجهة تلك مع دولة هي بالأساس دولة بحرية^(٣) .

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ٣ ، ص ص ١٣٣ - ٢٠٢ ، ٢٠٥ - ٢٠٥ .

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ٣ ، ص ص ٣٦٣ - ٣٥٩ .

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، س، ٣ ، ص ص ٨٢ - ٨٦ .

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ٣ ، ص ٢٢٣ .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، س، ٣ ، ص ص ١١٢ - ١١٣ .

المطلب الثالث : شمال أفريقيا والتمهيد لفتح الأندلس :

أدت فتوحات القسم الشرقي من البحر المتوسط إلى فتوحات القسم الغربي منه ، وفتوحات حزر غرب المتوسط ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفتح الشمال الأفريقي والذي جاء تأميناً لفتحات مصر الأساسية ، وكان ميدان شمال أفريقيا من أصعب الجبهات التي حدّثت بها فتوحات وذلك لتمسك الدولة البيزنطية بها تمسكاً شديداً فاستغرق فتح المسلمين لها ستين عاماً منذ أول ضمّ لها وهو فتح برقة عام ٢٣٥هـ . ولقد كثّرت الحملات في هذه الجبهة التي لم يكن من نتيجة لها إلا المغامم دون أي تثبيت للإقدام الإسلامية هناك ، وهناك حملات كثيرة أخرى انتهت بهزيمة المسلمين واضطرارهم لعقد صلح مع السروم أو مع القبائل المحلية التابعة للدولة البيزنطية إلا وهم البرير، ولكن كل هذا الجهد والجهد لم يكن سدى لهذه الحملات زودت المسلمين بالخبرة اللازمة بالبلاد ومن ثم كانت كلها بمثابة مقدمة هامة - وان طالت - لفتح الحقيقي للشمال الأفريقي^(١) .

وبعد فترة توقف طويلة للغزو في شمال أفريقيا أثناء فتنة عثمان ومتلاها من أحداث عاد الفتح الأول هناك سيرته بعد استقرار الأمر معاوية كما عاد في كل الجبهات الأخرى ، وما دفع معاوية إلى الاهتمام الشديد بشمال أفريقيا ادراكه لمدى الخطورة البيزنطى المحدق هناك حيث انتهز قسطنطين امبراطور الروم فرصة انشغال معاوية بالفتنة الكبرى فنقل عاصيته إلى صقلية وأقام بلاطه في سرقونة وأولى اهتماماً كبيراً بالاسطول تمهيداً لطرد المسلمين من شمال أفريقيا وتعزيز إقدام البيزنطيين هناك ومن ثم فقد عاود معاوية الغزو في هذه الجبهة بعد انقضاء الفتنة مباشرة حيث بمحض عقبة بن نافع عام ٤٢هـ / ٦٦٢م في فتح غدامس وودان ، وفي عام ٤٣هـ / ٦٦٤م فصل ولاية أفريقيا عن مصر واتبعها مباشرة إلى دمشق في إشارة واضحة إلى اهتمام الخلافة الأموية العميق بهذه المنطقة استجابة لاستئنفاد بعض أهل البلاد بدمشق من مظالم البيزنطيين الدينية وارهاقهم لهم بالضرائب .

(١) المرجع السابق ، ص ٧٦ ، انظر أيضاً : ص ص ٧١ - ٧٨ .

ولذا سنجد أن معاوية يحرص على أن يظهر ما لهذه الحملة من صبغة دينية يتضمنها عدداً كبيراً من الصحابة والتابعين^(١) ، وستكون هذه الحملة سابقة لكتير غيرها من حملات شمال أفريقيا والأندلس كذلك ، التي سيظهر فيها الاهتمام واضحاً من الجانين باضفاء صبغة دينية واضحة على المواجهة والصراع بينهما خاصة في المعارك التي يقدر أي منها أنها فاصلة .

وسوف يزداد هذا التركيز على المعنى الديني للمواجهة من جانب القوى غير الإسلامية في فترة الضعف ابتداء من العصر العباسي الثاني - كما سرر - وسيكون لهذا أثر واضح في اذكاء حركة الاسترداد المسيحي التي ستتبعت في هذه الجهات ومنها نحو المشرق . ويعتبر كل مasic جهاد عقبة بن نافع ، الذي ولـيـفـيـاـ عام ٤٩ـ هـ من قبل معاوية ، من قبيل الحملات التمهيدية كما ذكرنا والتي لم يكن لها أى نتائج ثابتة ، فمع عقبة بن نافع بدأ الفتح الحقيقي لأفريقيا وذلك أنه لم يهتم بغزو الكثير من المناطق في هذه الجبهة بقدر ما اهتم بتشيـيـتـ أـقـدـامـ الإـسـلـامـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـتـيـ يـسـجـحـ فـيـ فـتـحـهـاـ ،ـ فـقـدـ لـاحـظـ عـقـبةـ وـكـانـ عـلـىـ حـقـ فـسـيـ ذـلـكـ -ـ أـنـ الرـوـمـ الـبـيـزـنـطـيـنـ لـيـسـواـ مـصـدـرـ الـمـقاـوـمـةـ الـوـحـيـدـةـ فـيـ هـذـهـ الـجـبـهـةـ وـلـكـنـ أـيـضـاـ الـقـبـائلـ الـبـرـبرـيـةـ الـتـيـ تـقـطـنـ الـمـنـطـقـةـ وـالـتـيـ وـأـنـ كـانـ أـغـلـيـتـهـاـ تـدـيـنـ بـالـمـسـيـحـيـةـ فـهـيـ تـعـزـ بـأـسـقـلـاـهـاـ الـذـاـتـيـ وـمـنـ ثـمـ هـيـ تـتـفـضـ وـتـخـلـعـ طـاعـةـ الـمـسـلـمـيـنـ عـنـدـمـاـ يـنـصـرـفـونـ عـنـ الـبـلـادـ بـعـدـ غـزـوـهـمـ فـيـهـاـ وـمـعـاهـدـهـمـ لـلـبـرـبرـ،ـ وـمـنـ ثـمـ قـرـرـ عـقـبةـ أـنـ يـكـونـ لـلـمـسـلـمـيـنـ قـاعـدـةـ ثـابـتـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـاطـقـ تـصـبـحـ نـقـطـةـ اـنـطـلـاقـ لـلـأـعـمـالـ الـعـسـكـرـيـةـ يـعـودـ إـلـيـهـاـ الـمـسـلـمـوـنـ بـعـدـ الـعـمـلـيـاتـ بـدـلاـ مـنـ الـارـتـدـادـ إـلـىـ مـصـرـ أـوـ بـرـقةـ،ـ وـهـكـذـاـ اـخـتـطـ الـقـيـرـوانـ عـامـ ٥٥ـ هـ فـتـحـولـتـ الـأـغـارـاتـ إـلـىـ فـعـلـةـ ثـابـتـ وـدـائـمـ ،ـ وـكـانـ لـاـكـتـمـالـ بـنـاءـ الـقـيـرـوانـ أـكـبـرـ الـأـثـرـ فـيـ اـنـجـاحـ تـحـولـ شـمـالـ أـفـرـيـقـيـاـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ وـسـاعـدـ عـلـىـ ذـلـكـ أـيـضـاـ بـدـايـةـ استـقـرـارـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـمـفـتوـحـةـ وـاـخـتـلـاطـهـمـ بـالـسـكـانـ الـمـلـحـيـنـ وـهـيـ السـيـاسـةـ الـتـيـ كـانـ يـشـجـعـهـاـ مـعـاوـيـةـ ،ـ كـمـاـ رـأـيـنـاـ ،ـ كـسـبـيلـ لـانـجـاحـ الـفـتوـحـاتـ^(٢) .

١) المرجع السابق ، ص ص ٧٦ - ٧٧ .

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ذ ، ص ص ١٠٦ - ١٠٧ .

2) Lewis , op . cit , p 66 . -

ولكن في ذات الوقت بدأت حركة مقاومة عنيفة للمسلمين في شمال أفريقيا نتيجة قيام حلف قوي بين البيزنطيين والبربر في مواجهة المسلمين ولقد كان من أهم عوامل قيام هذا الحلف لعب البيزنطيين على وتر العامل الديني، فالامبراطور قسطنطين الرابع ادرك أن سياسة بيزنطة الدينية في شمال أفريقيا وغيرها من المناطق الخيرية ساهمت في انحسار مهمة المسلمين هناك لأنها على أكثر تقدير فقدت سكان البلاد المسيحيين تعاطفهم مع الامبراطورية البيزنطية ولذلك نجده يعقد مجلسا دينيا عام ٥٩٠هـ/٦٨٠م وضع فيه سياسات جديدة تقوم على التسامح الديني أثمرت في احتذاب القبائل البربرية التي تدين بال المسيحية إلى صف الروم ولعبت دورا كبيرا في مقاومة الفتح الإسلامي مما أدى إلى فشل المسلمين في هذه الفترة في فتح أي مدن جديدة^(١).

وحاجات أحداث الفتنة بتولى يزيد بن معاوية عام ٦٠هـ لتزيد من تدهور وضع الفتح في شمال أفريقيا حيث توقف الغزو في هذه المناطق أيضا ، وبعد أن استطاع عقبة بن نافع الذي تولى Afrيقية مرة أخرى عام ٦١هـ ليزيد بن معاوية من القضاء على تمدد البربرى الكبير ومن التقدم في بلاد الشمال الأفريقي حتى وصل إلى الحيط الأطلنطي غلبه الروم وقتلوه في كمين عام ٥٦٣م وأضطر نابه إلى التقهقر إلى برقة فسقطت القرى وان للحلف البربرى البيزنطى عام ٦٤هـ لتضيع جهود أربعين عاماً القضاة في الغزو والفتح وخرجت Afrيقية من أمر المسلمين وكثر الروم في أفريقيا وغ libero عليها وكان من الأسباب المباشرة لذلك انقطاع المدد من الشام نتيجة انشغال المركز بأحداث الفتنة الداخلية^(٢).

ولقد وصلت أول نجدة من المركز إلى أفريقيا عام ٦٩هـ أي بعد ست سنوات من هذه الأحداث المؤسفة في أفريقيا ، ورغم حدوديتها فقد استطاع المسلمون استخدامها لتحقيق

= Glubb , op. cit , pp 106 , 108 .

- حسن ، تاريخ الإسلام ، م، س، ذ ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ذ ، ص ٣٥٤ .

(١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، س، ذ ، ص ٨١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

بعض الانتصارات، ولكن البيزنطيون كثروا من هجماتهم خاصة من جهة البحر ، ومن القسطنطينية وصقلية ، وفي ذات الوقت كانت قبائل البربر تهاجم قوات المسلمين التي أرادت إعادة كرة فتح إفريقية مرة أخرى وكانت وجهتها القبروان ، وسرعان ما انكسر المسلمون مرة أخرى تحت وطأة الهجمات المزدوجة مع قلة المدد من المركز^(١) ليتحلى بوضوح مرة أخرى وبصور مؤلمة أن المسلمين إنما كانت تهزهم خلافاتهم الداخلية وليس أعداؤهم الخارجيون في الواقع.

ورغم سوء أحوال الغزو في إفريقيا ، فإن مركز الخلافة لم يستطع ارسال مدد آخر إلا عام ٦٧٦هـ بعد الاتهاء من فتنة ابن الزبير ، حيث بدأ يظهر واضحاً منذ ذلك الحين مدى اهتمام الدولة الأمورية بهذه المنطقة خاصة بعد أن أضحت بها رعايااً مسلمون ، فالامر لم يعد مجرد رغبة في الفتح بل أضحت أرضاً إسلامية لا بد من استعادتها^(٢) ، وهكذا بدأت الدولة الأمورية تكتف من حملاتها على إفريقيا وتجهزها بأفضل عددها وتؤمر عليها أمهر القادة من أمثال حسان بن النعمان مستهدفة إنهاء الأعمال الحربية في هذه المنطقة لصالح المسلمين بعد نصف قرن من المد والجزر. وظل الأمر بين المسلمين من ناحية والروم والبربر من ناحية أخرى غير محسوم مرة يغلب جانب ليكسر الجانب الآخر في المعركة التالية وذلذلك حتى عام ٧٨٦هـ/٧٠٧م تقريباً وهو نهاية ولاية حسان بن النعمان لافريقيا والذي يخسح مع نهاية ولايته في الخضاع لافريقيا ولم يبق إلا المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب لاقصى (المغرب)^(٣).

ولقد وقعت مهمة استكمال فتوحات الشمال الأفريقي على القائد المسلم موسى بن نصير الذي تولى المنطقة عام ٧٨٦هـ/٧٠٧م في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فتقدم ومعه مولاه طارق بن زياد ليفتح الشمال الأفريقي كله بمحاتحة مدنها واحدة تلو الأخرى لم تستعص

^(١) المرجع السابق ، ص ص ٨٧ - ٨٨ .

^(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

^(٣) المرجع السابق ، ص ص ٨٩ - ٩٠ .

عليه الا مدينة سبته لمناعة حصونها من جانب ، ومن جانب آخر وهو الأهم لوصول المدد والمعونة لها من الامبراطورية البيزنطية عبر أسبانيا القرطية^(١) .

وهكذا خضع الشمال الأفريقي كله .. عدا سبته .. للمسلمين وطرد الروم البيزنطيون منه كما طردوا من قبل من الشام ليصبح ساحل شرق البحر المتوسط وجنوبه منطقة تابعة كلها للMuslimين .

ولكن منطق تداعي الفتوحات وتأمين حدود الدولة بالتوسيع المستمر كان ما زال قائما فكان حتماً اذن أن تترجمه أنظار موسى بن نصير إلى أوربا عبر مضيق جبل طارق .. وبالتحديد إلى أسبانيا القرطية .. لتأمين فتح شمال أفريقيا خاصة وأن العلاقة بين سبته التي امتنعت عليه وبين أسبانيا القرطية قد اقتصرت بوجاهة السياسة الأمورية الخاصة بالفتح والتوسيع ، وهكذا كانت وثبة موسى بن نصير التالية هي على أسبانيا لتطأ أقدام المسلمين المالك المسيحي في الغرب .. لأول مرة وليراجهواهم على أرضهم وليريحوا حلم نشر رايات الإسلام في أفاق أوربا كلها ولكن هذه المرة مبتدئين من الغرب بمحاجتين أوربا كلها حتى يصلوا إلى القسطنطينية بدلاً من الخطة الأمورية القديمة التي تبدأ باسقاط القسطنطينية ثم الزحف منها غرباً لاحتياج أوربا كلها .

ولقد ساعدت الظروف السياسية في أسبانيا القرطية في ذلك الوقت موسى بن نصير على حسم أمره في ضرورة غزوها لتأمين فتوحات شمال أفريقيا حيث كان يسودها في ذلك الوقت صراع ضار على السلطة أشار فيه حاكم سبته للحزب المناوي، لمن هم في الحكم وارتدى أن يطلب المساعدة من الدولة الإسلامية في الشمال الأفريقي للمساعدة في هذا النزاع على العرش مقابل دفع جزية سنوية لهم .

(١) المرجع السابق ، ص ص ٩٠ - ٩٣ .

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ٣ ، ص ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

- حسن ، تاريخ الإسلام ، م، س، ٣ ، ج ١ ، ص ص ٣١٠ - ٣١١ .

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ص ٢٢٣ .

وسوف نرى اتفاقات كثيرة من هذا النوع في هذا الجزء من العالم طوال العصر العباسي سيستطيع أن يستمرها لصالحهم حال قوتهم ولكنها ستكون وبالا عليهم وقت ضعفهم .

وبعد تأكيد موسى بن نصير من عدم وجود خديعة ضد المسلمين تكمن وراء هذا الطلب وبعد أن استشار واستأنف الخليفة الوليد بن عبد الله في غزو تلك الأراضي ، في إشارة واضحة إلى مدى محورية مؤسسة الخلافة وإلى أن الولاء الأول والأخير للجيش هو الخليفة في المركز مهمًا بعد الشقة بما يعني وحدة وتماسك الدولة الإسلامية وهو سرعان ما سوف ينتهي بعد تولي العباسين خلافة المسلمين ، نقول عقد موسى بن نصير العزم على دخول تلك المناطق غازيا مستفيدا من انشغال حاكمها بالفتنة الداخلية فأرسل طارق بن زياد عام ٩٢ / ٧١١ عابراً البحر فهزم حاكمها المنشغل على الجبهة الشمالية ثم انضم إليه موسى بن نصير وسارا معاً يفتحان مدن إسبانيا الواحدة تلو الأخرى مستمرين في السير دون تردد حتى جبال البرانس فتم لهم فتح إسبانيا كلها إلا ركناً الشمال الغربي الذي احتمس به أشراف القرطاج وتحصروا به تحت قيادة بلاي ، أحد قادة الجيش القرطاجي ، وبعد حصار غير جاد من المسلمين له تركوه استخفافاً بشأنه وكان سوء تقدير الموقف هذا أفاله غلطة ارتکبها المسلمون عند فتحهم إسبانيا ، ذلك أن هذه البقعة المعزلة ستكون بورة المقاومة المسيحية للMuslimين في الاندلس الإسلامية وستكون أساس دولة إسبانيا المسيحية ومنطلق حركات الاسترداد المسيحي في العصر العباسي الثاني ، وبداية عصر الضعف الإسلامي^(١) ، ويرى كثير من المؤرخين أن موسى بن نصير لم يكن يعتزم التوقف في فتوحاته عند هذا الحد وإنما كان يخطط لعبور جبال البرانس واحتياج أوروبا كلها والوصول إلى القسطنطينية وفتحها من جهة الغرب لولا أن استدعاء الخليفة الوليد إلى دمشق وأمره بالتوقف بالفتح عند هذا الحد، ويؤكد المؤرخون أنه لو كان قد قدر لموسى بن نصير أن يمضي قدماً في مشروعه هذا لتغير شكل النظام الدولي تماماً

١) Glubb , op. cit , pp. 124 - 131 .

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، م، ص ١١٦-١٢٤ .

ولقضى على القرى غير الإسلامية، ذلك أنهم باستقرارهم للنظام الدولي وقتئذ فسائهم يؤكدون أن احتمالات نجاح مشروعه هذا كانت عالية جداً ، إذ لم تكن الظروف أبداً مواتية لنجاده مثلما كانت مواتية وقتها ، فملكة الفرنجة كانت مشغولة وقتها بصراعاتها مع المالك الأخرى ولم يكن هناك كيان سياسي واحد في أوروبا كلها يعادل قوة الدولة الإسلامية أو حتى بدايتها ، ويشير هؤلاء المؤرخون إلى أنه لما قدر للمسلمين في هذه المنطقة قائد كفء بعد عشرين عاماً من ضياع هذه الفرصة كانت الظروف الدولية قد تغيرت لغير صالح المسلمين فلما حاول هذا القائد إحياء مشروع موسى بن نصير هزم هزيمة ضخمة تدخل في تاريخ العلاقات الدولية بوصفها نقطة تحول وهي معركة بلاط الشهداء - كما سُرِّى بعد قليل -⁽¹⁾ ولقد تكررت الآثار السلبية لعدم استكمال موسى بن نصير لمشروعه بفشل حصار المسلمين للقسطنطينية بعد ذلك بستوات قليلة وهو ما أغلق أوروبا أمام المسلمين من الشرق بعد أن كانت قد أغلقت أمامهم من الغرب، ولقد فشل المخلدون في تفسير سبب استدعاء الخليفة الوليد لموسى بن نصير، فبعضهم قائل إنه أشتق على المسلمين من خساطر هذا المشروع الجريء، وبعضهم الآخر يؤكد أن الخليفة أباً عاصف على سلطانه من تصاعد قوة موسى بن نصير .

وسواء صحت هذه التفسيرات أو أخطاء، فإن ما حدث بالفعل بعد استدعاء موسى بن نصير إلى دمشق هو ما يهمنا هنا لأنَّه يوضح كيف أنَّ الأهواء الشخصية كثيراً ما تقوض أهدافاً مصرية ، فلقد توفي الخليفة الوليد فور وصول موسى بن نصير إلى دمشق وخلفه سليمان بن عبد الملك الذي كان على خلاف شخصي مع موسى بن نصير فأمر بتوسيع بناء الفاتح العظيم فحدَّ ثم نفى إلى المدينة حيث ظل بها حتى مات ، أما طارق بن زياد فقد حُرِّده من جميع صلاحياته ولا تورد لنا المصادر الأولية شيئاً عن مصيره بعد ذلك ، ولم يلبث عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي تركه والده عندما استدعي إلى دمشق على الاندلس فاستكمل الفتوحات ونظم أمور المسلمين في الداخل ، نقول لم يلبث أن قُتل بعد أن وثبت

⁽¹⁾ سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م.س.ذ ، ص ص ٣٦٦-٣٦٧ .

- عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ص ٥٤ - ٥٥ .

عليه فرقة من جنوده قيل إنها كانت تنفذ أوامر الخليفة سليمان، وقيل إنها تصرفت وحدتها ولكن ثورة للخليفة عندما اعتبروا تنظيم عبد العزيز بن موسى لأمور الداخل هو انفراد بالأمر من دون الخليفة⁽¹⁾، وعلى كل الأحوال علينا أن نشير إلى أن الخليفة سليمان عمد إلى التخلص أيضاً من أعاظم القادة العسكريين على الجبهة الشرقية ، وأن المحنلين التاريخيين يرون هنا كله بداية لترجمة حديث في الدولة الأموية يتعلق بالتراجع عن سياسات الفتح والتوجه المستمر والتنفس بدأت ارهاصاته مع سليمان بن عبد الملك ووضحت أكثر مع عمر بن عبد العزيز - كما سترى.

المبحث الثالث : المد الإسلامي في الجبهة الشرقية :

تشمل الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية المناطق الواقعة شرق العراق ، والأسم التي كانت تقطن تلك المناطق اتسمت بالتعدد جنساً وحضارة وإن كانت اتفقت جميعها في الوثنية ، وكانت الفتوحات في هذه المنطقة تسير في خطين أحدهما شمالي إلى بلاد ما وراء النهر والآخر جنوبي إلى بلاد السندي .

وعلى العكس ، الحال في الجبهة الغربية التي كان الخليفة الأموي في عهد المد والتوجه بهم بها اهتماماً شخصياً وكان كثيراً ما يخرج الخلفاء الأمويون الذين تولوا ما بين ٤١ - ١٠٠ على رأس الحملات السائرة في الجبهة الغربية ، فنان أمر الفتح في الجبهة الشرقية كان متزوراً ك بصورة شبه تامة لروابي العراق .

وربما يرجع هذا إلى حقيقة ادراك الأمويين أن الخصم الذي يواجهونه في الجبهة الغربية ، يعني الدولة البيزنطية - هو كيان سياسي عالمي ينأى بهم في التسليد على العالم ، في حين أن الخصم في الجبهة الشرقية كان قبائل متفرقة وممالك إن وجدت فهي قزمية تقع على هامش النظام الدولي.

1) Ghubb , op. cit , pp. 130 - 131 .

فعهد المركز وgear الخليفة من الأوفق أن يتوجهها إذن نحو القطب الكبير الآخر بدلاً من تشتيتها بتقسيمهما بين جهتين ولا يعني هذا أن الدولة الأمورية أكملت واستهانت فيما يتعلق بالفتح على الجبهة الشرقية كل ما في الأمر هو أنها ارتأت أن يدار الفتح ونشر الإسلام بها بأسلوب آخر غير ذلك المستخدم في الجبهة الغربية وكان الأسلوب المتبعة على الجبهة الشرقية هو أن يكون أمر الفتح بها من اختصاص أقليم العراق مباشرة مع الحرص على أن يتولى أمر هذا الأقليم أكفاء القادة السياسيين حتى يطمئن الخليفة على حسن سير الأمور بالأقليم وبالتالي على حسن سيرها على الجبهات الشرقية ، أما اشراف الخليفة على هؤلاء القادة والحكام فلم يكن متعدماً بل كان موجوداً دائماً تأكيداً للمرتكبة ولوحدة الدولة بزعامة الخليفة .

ولقد بدأت فتوحات الشرق منذ عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن حتى أيام الدولة الأمورية لم تكن أقدام المسلمين قد ثبتت في هذه الأقاليم ، فيعد استسلام مرو ٤٥١هـ / ٣٦١م فضل المسلمين عدم التقدم فيما يلي حدود الإمبراطورية الفارسية حتى لا يصطدموا هناك بقبائل لم يخروا كيفية التعامل معها بعد ، ولقد قرر المسلمون تأمين غزو تلك المناطق حتى توطد حكمهم في خراسان ، ولقد تعرض موقف المسلمين في الأقاليم الشرقية إلى اختبار قاس أثناء الفتنة عثمان حيث شجعت أهالي خراسان وسistan بأحداث الفتنة وتوقف الفتوحات فأتفقوا على السلطة الإسلامية واستطاعوا أن يخرجوا الخامية الإسلامية من سistan وان كانوا قد فشلوا في الالتفاق بهم في خراسان ، ومن ثم فإن مهمة معاوية العاجلة في الشرق فور توليه علاقة المسلمين كانت هي إعادة توطيد أقدام المسلمين هناك وكان تركيز الأساس على محور خراسان فعمل على تدعيم القوة الإسلامية هناك (١) .

ولقد سارت الفتوحات في عهد معاوية في الخطين السابقين تحديداً وقد بعثت الدولة في عهده في فتح معظم خراسان ، إلا أن القبائل الرومية التي كانت تسكنها كانت كثيراً ماتقضى العهد فيعود المسلمين فتحها المرة تلو المرة ، لم تدان هذه المناطق تماماً للدولة الإسلامية حتى زمن الوليد بن عبد الملك وقد يرجع ذلك إلى أن المسلمين لم يتبعوا في فتحها نفس سياسة التعرّيب والاستيطان التي

1) Shabban , op. cit , p 66 .

كانت تتم في فتوحات الجبهة الغربية ، فكان يكتفى بأن تمثل القبائل بالطاعة وتقبل بمعاهدة الصلح فيتخل المسلمين عنها قانعين بذلك بل وتساركين عليها حكامها الأصليين على عهد بدفع الجزية^(١) ، ولقد استولى المسلمون في عهد معاوية على هراه وكابول كما غزوا ببلاد السند مما يلى خراسان عام ٤٣ ثم الأقليم الممتد بين ملستان وكابول عام ٤٤ ثم تركستان عام ٤٥ وغزوا كذلك بخارى وسمرقند^(٢) وما كان يسهل على المسلمين أمر فتح تلك المناطق المرة بعد المرة هو أنها كانت محور صراع دائم بين القبائل التركية والقبائل الفارسية في المنطقة لوقعها على طرق التجارة الرئيسية مما يجعل الوحدات في هذه المنطقة متشرذمة دائماً وغير قادرة على التوحد في شكل كيان سياسي واحد يستطيع أن يقف بقوة في وجه عمليات الغزو والفتح الإسلامي^(٣) ونرى الفتح أيضاً في عهد معاوية متوجهة نحوية السند ، بباب الهند الرئيسي ولكن لم يسفر الغزو في هذه المنطقة عن نتائج ثابتة حتى أيام الوليد بن عبد الملك^(٤) . كما أثرت أحداث الانقسامات والفنن الداخلية من ٦٠ - ٦٧٢هـ على الغزو والفتح على الجبهة الغربية بمحاورها الثلاث فانها أثرت على الجبهة الشرقية أيضاً حيث أضحت المسلمين هناك في موقف دفاعي مهين ، فلقد نقض الترك عهدهم وهاجموا المسلمين عدة مرات ، وبعد انجاز تقدم محدود جداً في هذه الجبهة فيما وراء النهر في بداية عهد يزيد توافت العملات بعدها تماماً في هذه الجبهة طوال فترة الفتنة ، بل إن المسلمين فقسدو أنساء أشواط الفتنة تلك

(١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، ج، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

- Hodgson , op. cit , Vol I , p 219 .

- Lewis , op. cit , p 66 .

(٢) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، ج، ص ٣٤٠ .

3) Glubb , op. cit , p 100 .

(٤) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، ج، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

- Lewis , op.cit , p 66 .

- Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 219 .

التي امتدت حوالي الائتين عشر عاماً معظم المناطق التي كانوا يهدون إليها سيطرتهم مثل كابول^(١)) فما أن تمكن سليمان بن عبد الملك من القضاء على مناوئيه حتى بدأ يسوي أمر الفتح الاهتمام الواجب مرة أخرى، وكان ولاته على أقليم العراق هم مفتاح النجاح على الجبهة الشرقية وكان الحاجاج بصفة خاصة ذا فضل كبير - بسبب شدته وصرامته - في تحقيق قدر معقول من الاستقرار في العراق بولوظاهريًا. يمكن من خروج الحملات نحو الأقاليم الشرقية^(٢)) ولقد بدأ خروج الحملات فور نجاحه في القضاء على ابن الزبير عام ٧٢ فخرج المهلب بن أبي الصفرة فيما وراء الهر غازياً لمدة عام استطاع أن يعيد حلاله هيبة المسلمين في المنطقة وأن كان قد فشل في إقامة قواعد ثابتة ، وربما يرجع ذلك إلى استمرار انشغال المركز وال伊拉克 كذلك حتى عام ٧٩ بخلاف الخوارج الأزارقة في الأهواز وبلاط فارس والخوارج الصفرية في الجزيرة وال伊拉克^(٣) فلما نجح عبد الملك في كسر الخوارج ٦٩٩هـ/١٧٩ م بدأ بتجهيز جيش قوي تكون مهمته اخضاع تلك المناطق الشرقية وتحقيق نتائج حاسمة هناك ، وخرج الجيش بالفعل بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث وضم وجوه المغاربين العرب ولكن بدلاً من اتمام المهمة التي خرج من أجلها تحول عن اخضاع مناطق لاتدين بالإسلام إلى مناوية خليفة المسلمين بل وللعقد الصلح مع حاكم كابول غير المسلمين ليعود أدارجه لمواجهة الخليفة وواليه في العراق ، وبذلك توقف الغزو مرة أخرى على الجبهة الشرقية نتيجة فتنة ابن الأشعث^(٤) ، بل وأثرت هذه الفتنة على قدرة المركز الخلافى على إرسال المسدد للمسلمين الذين كانوا يواجهون موقفاً قاسياً في شمال أفريقيا ، كما رأينا خسروا بسببه تلك المناطق بعد أن كانوا قد

1) Glubb , op.cit , p 100.

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، موس ، ذ ، ص ص ١٩ ، ٢١٩ .

3) Hodgson , op. cit .

4) Glubb , op.cit , pp 100 - 101.

فتحوها ، ولقد انتهز رتيل من أشهر حكام شرق سجستان الاتراك فرصة فتنة ابن الأشعث فنقض عهده لل المسلمين وانقض على الحاميات الإسلامية في الأقاليم الشرقية وقتل أمراءهم ثم انه أحيا ابن الأشعث الخارج على الدولة الإسلامية وأواه^(١) ، وبعد القضاء على فتنة ابن الأشعث الخارج عاود الملك الغزو مرة أخرى على الجبهة الشرقية ولكنه ووجه هنا بعامل استجد أثر بصورة واضحة على سير حركة الفتوحات على الجبهة الشرقية ، فلقد بدأ المقاتلون يستقرون في أقاليم العرق خاصة لامتداد سنوات الفتنة إلى أكثر من اثني عشر عاماً توقف فيها الغزو تماماً على الجبهة الشرقية ، على خلاف ما كان عليه الوضع في الجبهة الغربية ، ثم إن الحاميات التي توجد في المناطق التي كان قد تم غزوها استقر جنودها في هذه المناطق وبدأوا يندمدون مع السكان المحليين ، ومن ثم عندما حاول القادة الذين عينوا لاستئناف الفتوحات في الأقاليم الشرقية بعد انقضاء الفتنة - من أمثال قتيبة الباهلي - استفار الجنود أظهر هؤلاء عدم رضاهم عن ذلك بل وثاروا على قتيبة نتيجة اتباعه سياسة فتح نشطة جداً كانت تخرج خلافاً للحملات باستمرار معلنين رغبتهم في الاستقرار ونفورهم من هذه الحملات التي لا تنتهي^(٢) . ولكن لم يفت هذا في عضد قتيبة القائد العسكري القدير فكما أن الفتوحات الكبرى على الجبهة الأفريقية ترجع إلى مهارة القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد، فإن الجبهة الشرقية قدر لها في نفس الوقت تقريراً قائداً لا يقلان مقدرة ومهارة حولاً مسار الفتوحات في هذه الجبهة تماماً لصالح الدولة الإسلامية بعد حوالي نصف قرن من الغزوات والاغارات غير الحاسمة، هذان القائدان هما قتيبة بن مسلم الباهلي الذي كان يفتح فيما وراء النهر، و محمد بن القاسم بن محمد الثقفي الذي كان يغزو بلاد السند ، ولقد بدأ قتيبة الذي ولاه الحجاج خراسان غزوه في المنطقة عام ٨٦ بخروجه إلى بلخ ، وفي عام ٨٧ غزا بيكند وأرغم أهلها على طلب الصلح فلما نقضوا العهد عاد إليهم وفتح مدینتهم عنوة، وفي عام ٨٨ فتح

(١) دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، م.د. ، ص ص ١٩٥ - ٢٠٦ .

2) Shacban , op.cit , pp 120 - 126 .

كرمينية ثم بخارى ، وفي عام ٩٣ فتح عوارزم صلحاً ثم فتح سمرقند التي وطد فتحها اقدام المسلمين في المنطقة ، ثم واصل قتيبة تقدمه فعبر نهر جيحون ثم سار إلى فرغانة ثم كاشان ، والملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا هو أن السكان في هذه المناطق كانوا يرضون بالصلح أو يعتنقون الإسلام ظاهرياً فما ينصرف الجندي المسلمون حتى ينقضوا العهد أو يرتدوا عن الإسلام، وهذا يظهر بوضوح مدى منطقية مفهوم عقبة بن نافع فاتح أفريقيا بضرورة أن يكون الفتح معنوياً وليس عسكرياً فالفتح المعنوي يحتاج إلى وجود مسلمين مقيمين في المنطقة بعد فتحها يفتحون القلوب ، أما الفتح العسكري فيتم بواسطة الجندي الذين يرثمون بعد نجاح المهمة العسكرية فلا يتحققون شيئاً في الواقع إلا فتح الأرض التي تقض عليهم فور انسحابهم^(١) .

ولقد اهتز قتيبة لوفاة الحجاج ، ولكن تشجيع الخليفة الوليد له على مواصلة الفتح جعله يتجاوز الحنة وبدأ يطرق أبواب الصين من الجهة الغربية فغزا كاشغر ، ثم راسل ملك الصين الذي وافق على دفع الجزية وكانت وفاة الوليد عام ٩٦ في العام التالي لوفاة الحجاج نقطة تحول في تاريخ الفتوحات في هذه المنطقة فلقد خاف قتيبة من انتقام سليمان بن عبد الملك منه لأنه كان قد شجع الوليد على خلح بيته فسارع باعلانه عطمه وهو في خراسان ، ولم يرض جنده بذلك فوثبوا عليه وتلقوه عام ٩٦^(٢) ، في إشارة قوية إلى مدى ولاء الجيش للخليفة باعتباره رمز الوحدة السياسية والدينية وهو ما سيضيئ تماماً في العصر العباسي حيث سيطغى ولاء الجندي لأميرهم دون الخليفة فتضيع الدولة، وبوفاة قتيبة توافت فتوحات المسلمين على هذه الجبهة عند الحد الذي تركها هو عليه، ذلك أنه لما تولى خراسان زيد بن المهلب بن أبي الصفرة من قبل سليمان بن عبد الملك عام ٩٧ وجه مهمه إلى فتح حرجان وطيرستان ، ولم

(١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ذ ، ص ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

- حسن ، تاريخ الإسلام ، م، س، ذ ، ج ١ ، ص ص ٣٠٤ - ٣٠٠ .

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ذ ، ص ص ٣٤٢-٣٤١ .

(٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ذ ، ص ص ٢٢٧ .
- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ذ ، ص ص ٣٤٤-٣٤٣ .

يُكَنُّ المُسْلِمُونَ قَدْ وَطَلَوْا أَيْهُمَا مِنْ قَبْلِ وَذَلِكَ حَتَّى يَحْقُقَ فَتْحًا يَبْطِئُ سَلِيمَانَ كَمَا كَانَ نَحْسَاحَاتٍ قَتِيَّةً تَبْطِئُ الْوَلِيدَ ، وَلَقَدْ اسْتَطَاعَ بِزِيَادَتِهِ أَنْ يَفْتَحَهَا بِالْفَعْلِ صَلْحَانَ ثُمَّ تَوَجَّهَ بَعْدَهَا إِلَى طِيرَسْتَانَ وَلَكِنَّهُ هَرَمَ هُنَاكَ فَنَفَضَ أَهْلُ جَرْجَانَ عَهْدَهُمْ فَعَادُ وَحَارِبُهُمْ وَفَتَحَهُمْ عَنْوَةُ هَذِهِ الْمَرَّةِ (١) .

أَمَا الْفَتْحُ فِي السَّنْدِ فَقَامَ بِهِ الْقَادِيدُ الْمُسْلِمُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الشَّفْعِيِّ الَّذِي ظَلَّ يَلْعُجُ عَلَى الْوَلِيدِ لِلْفَتْحِ فِي هَذِهِ الْمَنَاطِقِ حَتَّى أَذْنَ لَهُ فَانْطَلَقَ يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ تَلَوَ الْأُخْرَى وَنَجَحَ عَامُ ٩٠ هـ فِي قَتْلِ دَاهِرِ مَلِكِ السَّنْدِ الشَّهِيرِ مَا سَهَلَ عَلَيْهِ التَّقدِيمُ فِي بَلَادِهِ فَفَتَحَ الدِّيَبِيلَ مَكَانَ كَرَاتِشِيَّ الْحَالَةِ عَامُ ٩٣ هـ ، ثُمَّ تَقْدَمَ إِلَى الدَّاخِلِ تَجَاهَ الشَّمَالِ فَاتَّحَا الْمَدِينَ وَالْمَعَاقِلَ فِي طَرِيقَةٍ إِلَى الْمَلَانَ الَّتِي فَتَحَهَا عَامُ ٩٤ هـ (٢) .

ثُمَّ تَطَلَّعَ بْنُ الْقَاسِمِ لِفَتْحِ اِمَارَةِ كَوْنُوجَ أَعْظَمِ اِسْمَارَاتِ الْهَنْدِ وَالَّتِي كَانَتْ تَمْدِيَنَ السَّنْدَ إِلَى الْبِنْغَالِ فَاسْتَأْذَنَ الْمُحَاجَاجَ الَّذِي أَذْنَ لَهُ وَلَكِنَّ مَا لَبِثَ أَنْ تَوْفَى وَمِنْ بَعْدِهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ ، وَكَانَ تَوْلِي سَلِيمَانَ الْخَلَافَةِ نَقْطَةً تَحْوِلُ أَيْضًا فِي تَحْوِلِ السَّنْدِ كَمَا كَانَتْ بِالنَّسَبَةِ لِفَتْحَاتِ مَا وَرَاءِ النَّهَرِ وَفَتْحَاتِ أَفْرِيَقِيَا ، ذَلِكَ أَنْ سَلِيمَانَ كَانَ يَنْقُسُ عَلَى الْمُحَاجَاجِ وَصَنَاعَتْهُ لِأَنَّهُ أَفْرَأَ الْوَلِيدَ عَلَى خَلْعِ بَيْعَةِ سَلِيمَانَ وَعَقَدَهَا لِابْنِهِ عَبْدِالعزِيزِ بِدَلَّا مِنْهُ ، وَمِنْ ثُمَّ أَنْ تَوْلِي حَتَّى عَزْلِ اِبْنِ الْقَاسِمِ عَنْ جَبَهَةِ السَّنْدِ وَأَمْرَ بِهِ مَقِيدًا إِلَى دَمْشَقِ حِيثُ عَذَّبَ حَتَّى الْمَوْتِ دُونَ أَنْ تَشْفَعَ لَهُ خَدْمَاتِهِ فِي سَبِيلِ نَسْرِ الْإِسْلَامِ فِي مَنَاطِقِ اِسْتِعْصَمَتْ طَرِيْلَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، بِلَ كَسَانِ الْاعْتِبَارِ الْأَهْمَّ هُوَ لِلأَهْوَاءِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَلَقَدْ اسْتَغْلَلَ حُكَّامُ السَّنْدِ الْمُخْلِبِينَ هَذِهِ الْأَحْدَاثَ لِاستِرْدَادِ مَا فَقَدُوهُ لِلْمُسْلِمِينَ فَأُضْطَرَبَ السَّنْدُ كُلَّهُ خَاصَّةً عِنْدَمَا تَرَكَ حَنْدُ اِبْنِ الْقَاسِمِ مَوَاعِيْهِمْ وَعَادَ كُلَّهُ إِلَى بَلْدَهُ وَلَمْ يَسْتَطِعْ الْمَرْكُزُ إِلَّا تَحْقِيقَ قَدْرٍ مَحْدُودٍ مِنِ الْاسْتِقْرَارِ فِي الْمَنَاطِقِ بَعْدَ لَأْيِ (٣) .

(١) سالم ، تاریخ الدّولۃ العربیّة ، م، ج ٣ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ - ٣٥٢ .

- شاکر ، التاریخ الاسلامی ، م، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

- حسن ، تاریخ الاسلام ، م، ج ٣ ، ج ١ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣) سالم ، تاریخ الدّولۃ العربیّة ، م، ج ٣ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

وهكذا بحد الأهواء والمصالح الشخصية تؤدي سليمان بن عبد الملك إلى القضاء على أهم ثلاثة قواد عسكريين في تاريخ الدولة الأموية الذين استطاع سلفه الوليد بن عبد الملك أن يحقق بهم توسيعاً في الدولة الإسلامية وصل بها إلى حدود الصين شرقاً وإلى إسبانيا غرباً ، فلم يضف إلى الدولة أى أرض جديدة بعدها حتى زوال الأمراء⁽¹⁾.

ثم أضاف سليمان إلى هذا الخطأ خطأً آخر يرجع لأسباب شخصية أيضاً وستكون عراقبه أو حمل من سابقه حيث ستؤدي ليس إلى عشر الفتوحات فحسب وإنما إلى زوال الدولة الأموية ذاتها ذلك أنه سيزج بنفسه في الصراعات القبلية بالمحيازه إلى القبائل الكلبية وتنكيله برحال عظام يتضمن إلى القبائل القييسية من أهمهم رجالات الحجاج وذلك بسبب صراعه الشخصي معهم⁽²⁾ وبذلك ساهم في تكريس الانقسامات القبلية ووصولها إلى الجيش عدة الدولة وأداتها ، وكان هذا بداية النهاية للدولة الأموية حيث سيصبح ضرب القبائل بعضها ببعض لعبة الخلفاء التي يستغلونها لتحقيق مكاسب شخصية وقوية بدلاً من أن يرتفعوا فوق هذه الصغائر ويصبحوا حكاماً محايدين فيها من أجل الصالح العام لأمة الإسلام .

1) Lewis , op. cit , p 76.

-Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 244 .

2) Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 244 .

الفصل الثاني

التحولات في البيتين الداخلية والخارجية وأثرها على انحسار حركة المد والتوجه

مقدمة :

المبحث الأول : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية البيزنطية .

المبحث الثاني : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية الأوروبية .

المبحث الثالث : الانحسار الإسلامي على الجبهة الشرقية .

الفصل الثاني :

التحولات في البيئتين الداخلية والخارجية وأثرها في انحسار حركة المد والتوجه

مقدمة :

كان عام ١٠٠ هـ نقطة تحول في تاريخ العلاقات بين القوى الإسلامية والقوى غير الإسلامية حيث استدعي الخليفة عمر بن عبد العزيز القوات الإسلامية المعاصرة للفاطمية أمراً بفك الحصار فتراجع الغزو على الجبهة الرومية بعد أن كان قد توقف قبل ذلك بقليل في جبهة شمال أفريقيا وفي الجبهة الشرقية نتيجة سياسات سلفه سليمان بن عبد الملك.

ولقد أتى الخليفة عمر بن عبد العزيز إزاء التوسيع سياسة تختلف عن سياسات خلفاء الدولة الأموية السابقين له بل واللاحقين عليه ، فلقد رأينا أن عخلفاء بني أمية كانوا يؤمنون أن الفتح والتوسيع المستمر هما عذتهم لنشر الإسلام ، وأن المحروم هو خير وسيلة للدفاع عن الدولة الإسلامية ، وبالتالي فقد اضحت أسلاب المعركة وغنائم الحرب عنصراً أساسياً في البيان الاقتصادي للدولة ، فلما جاء عمر بن عبد العزيز بالتزامه الإسلامي كان لا بد وأن يهدف أيضاً إلى نشر الإسلام مثل أسلائفه ، ولكن هذا الالتزام أيضاً هو الذي جعل أداته لتحقيق هذا المهد夫 مخالفة تماماً لما كان يستخدمه سلفه .

فلقد أدرك عمر أن الغزوات الإسلامية أصبحت في معظمها غارات للسلب والنهب وليس جهاداً لنشر الدعوة ، ومن ثم كان لا يسير الحملة إلا إذا اقتضى تاماً بضرورتها الخرية ثم أنه أعاد سياسة الفتح إلى القاعدة الإسلامية الشرعية فكان يدعى الخصم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، ثم نظر إلى المسلمين فجعل الرباط في الشغور أربعين يوماً فقط وفقاً للقاعدة الإسلامية، يرجع المرابط بعدها إلى أهلة ليستحتم ، ونلاحظ أيضاً أن عهده القصير حفل بفداء المسلمين "الأسرى" وكان لا يتقاوم عن فداء الأسير المسلم ولو بعشرة من الروم حتى يخلصه

من الضيم^(١) ، أما الأطراف الدولية غير الإسلامية فكان يرسل المراسلات إلى حكامها يدعوهم إلى الإسلام مثلما فعل مع ليو الثالث الإمبراطور البيزنطي وكذا مع ملوك السندي^(٢) كما عرف عنه أنه كان يكره قتل أسرى العدو^(٣) ، أما الديميين في الدولة الأمورية فقد عاملتهم بالعدل فزاد دخولهم في الإسلام فرفع عنهم الجزية وهو عخلاف ما كان يتبعه أسلافه من الأمويين الذين كانوا يفتحون البلاد وفي كثير من الأحيان لا يرفعون الجزية عنمن يسلم من أهلها بمحنة أنهم ما أقدموا على ذلك إلا لاستقطاب الجزية عنهم وليس اقتناعاً بالإسلام وإن وضع الجزية سيضر بأقتصاد الدولة دون الحصول على مقابل حقيقي (وهو صحة إسلام هؤلاء النميين) ولما ووجه عمر بهذا الرأي من قبل اقتصادي الدولة قال عبارته المشهورة "أن رسول الله أرسل داعياً ولم يرسل جائياً"^(٤) .

كما حرص عمر على أن ينشر العدل بين المسلمين غير العرب فعاملهم معاملة حسنة خاصة للبربر، وأيضاً حرص على العدل بين الأقاليم فأعطي الأقاليم قدرًا معقولًا من الاستقلال خاصة في إدارة ثروتهم المالية واستطاع أن يجد الولاية الذين يحكمون بالعدل فيرضى الحكامون ويقنعوا بذلك من أن يجبروا بالقسوة والبطش ، كما أنه قلس من هيمنة بلاد الشام على باقي أقاليم الدولة ، خاصة هيمنته على أقليم العراق فكان لهذا أثره في الخد من سطوة الجيش الشامي وتقليل المكانة والدور اللذين ظلل يتمتع بهما في عهد أسلافه^(٥) ، ولقد كان لسياسات عمر هذه آثار بالغة على مسار العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين ورغم أن عهده لم

١) فرج ، العلاقات بين البيزنطيين والأمويين ، م.س.ذ ، ص ١٩٥ .
ماجد ، التاريخ السياسي ، م.س.ذ ، ص ٢٦٧ .

رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١٦٧ .

٢) فرج ، العلاقات بين البيزنطيين والأمويين ، م.س.ذ ، ص ١٨٩ .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١٦٧ .

٤) ماجد ، التاريخ السياسي ، م.س.ذ ، ص ٢٦٧ .

5) Shacban , op. cit , p 136 .

- Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 269 .

يستمر أكثر من عامين، ورغم أن خلفاءه سيتخلون عن كل هذه الاجراءات التي اتبعها في المجالين الداخلي والخارجي إلا أن الأثر الذي ستتركه اجراءاته على طبيعة العلاقات الدولية سيستمر بل وستساهم ظروف كثيرة داخلية وخارجية في تكريسه حتى تفقد الدولة الأمورية السمة الأساسية التي ميزتها حتى يحيى عمر عبدالعزيز وهي أنها دولة الفتوحات الكبرى وسيستمر الخسار هذه الميزة عنها حتى تسقط . وستتناول معالم هذه الفترة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية البيزنطية .

المبحث الثاني : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية الأوروبية .

المبحث الثالث : الانحسار الإسلامي على الجبهة الشرقية .

المبحث الأول : الانحسار على الجبهة الغربية البيزنطية :

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يهدف - ربما أكثر من أي خليفة أموي سابق له أو لاحق عليه - إلى نشر الإسلام ولكن أداته لهذا النشر كانت أساساً الدعوة والوعظة الحسنة ، ولا يعني هذا أنه كان لايسير الحملات على الجبهة البيزنطية ، ولكن الصائفة التي أرسلها كان هدفها الأساسي التحصين والبناء وليس الغزو والسلب والغنة(1) .

فالهجوم كخير وسيلة للدفاع لم تكن هي القاعدة التي ارتकزت عليها سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية ، ولكنه آمن أن الدعوة ربما تكون أمضى من السيف في التمكين للإسلام في الأرض ، وهكذا تخلى عن سياسات الفتح المجنونة التوسيعة .

ويرى بعض المؤلفين أن سياسة عمر بن عبد العزيز لم تكن في الواقع إلا تكريساً لسياسة سلفه سليمان بن عبد الملك الذي اتبع سياسات تنم عن نية في إيقاف سياسات الفتح والتوسيع على كافة الجبهات كما رأينا(2) ولكن المخلل المدقق يجد أن هذه المقوله غير صحيحة تماماً على الأقل فيما يتعلق بتوجه كل من الخليفتين رغم أن الهدف النهائي لهما يبدو واحداً، فيبدو من

1) فرج ، العلاقات بين الامريين والبيزنطيين ، م.س.ذ ، ص ص ١٩٠ - ١٩٥ .

2) Shacban , op. cit , pp 127 - 129 .

استقراء احداث التاريخ أن كلاً من سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز كانوا يستهدفان ايقاف حركة الفتح والتوجه المستمر ووضع حد لها والبدء في اقامة نعط حياة للدولة الاموية يتسم بالاستقرار والالتفات إلى الشؤون الداخلية أكثر من الأمور الخارجية ، ولكن سليمان بن عبد الملك ارتأى تحقيق ذلك باتباع سياسة هجومية عنيفة يوجه بها ضربات قاضية وفاصلة لخصوصه الدوليين خاصة الدولة البيزنطية يهنا بعدها بحياة دعة واستقرار دون مخاطرة دولية من اعداء محظوظين بالدولة الإسلامية متربصين بها ، فالمجوم خير وسيلة للدفاع كان ما يزال اذن هو محور سياسات تعامله الخارجي ، أما عمر بن عبد العزيز فتحليه عن هذه السياسة الهجومية في مجال التعامل مع الأطراف الدولية الأخرى كان واضحا ، فهو يهدف إلى تفعيل الدولة بحياة مستقرة داخل حدود آمنة ولكن وسيلة لتحقيق هذا هي تحصين الحدود وبناء التغور والتسامح مع الذميين والذعورة بين أطراف النظام الدولي متبعا مع أسراهם واتباعهم في الدين سياسات لاستبعادهم على الدولة الإسلامية إيمانا بأن هذه هي سماحة الدين الإسلامي التي تكسب له التابعين المؤمنين المخلصين ، ويرى العديد من المؤرخين ان بدايات هذا التحول نحو الاستقرار ووضع حد لسياسات الفتح والتوجه كان عميق الأثر حتى أنهم ينسبون إلى حد القول إن العاديين اللذين استغفلاهما حكم عمر بن عبد العزيز يعادلان في أثراهما الثلاثين عاما التي استغرقها الوليد وسليمان معا⁽¹⁾ ورغم خلاص نية الخليفة عمر بن عبد العزيز في سياساته تجاه الروم البيزنطيين إلا أنهم لم يفهموا النية الصادقة الكامنة وراء هذه السياسات فقدروا أن تساحجه هذا إنما هو خضوع ناتج عن انتصارهم وردهم للحصار الإسلامي حول القدس⁽²⁾ وقد يجد الحال عذرا لهم في ذلك، فتاريخ التعامل بينهم وبين الدولة الاموية لم يكن الا سلسلة متعددة من الصراعات العدائية ، وهكذا لم تتم سياسته عمر بن عبد العزيز ازاء الروم البيزنطيين فلقد استغلوا فترة السكون شبه التام على حدودهم مع الدولة الإسلامية والتي امتدت عامين هي فترة حكم عمر بن عبد العزيز في إعادة ترتيب صفوفهم وتنظيم أمورهم الداخلية بعد الحصار

1) Ibid , p 127 .

2) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١٦٧ .

القاسى الذى تعرضوا له والذى رغم فشله هز كيان الامبراطورية بصورة عنيفة^(١) فلما تراجع حلفاء عمر بن عبد العزيز عن سياساته الخارجية وارتأوا اتباع سياسة أكثر ايجابية تجاه العدو البيزنطى الذى كانت قوته تتناهى فشلوا فى أن يستعيدوا للدولة الأموية مركز المبادرة والتسييد ويرجع ذلك بالأساس إلى الخطة البارعة التى وضعها ليو الثالث وقام بتنفيذها لحماية الدولة البيزنطية ووضع الدولة البيزنطية فى وضع دفاعى مستمر حيث تحالف مع قبائل الخزر التى تقطن مناطق شمال شرق الدولة الإسلامية وجعلها مصدراً دائمًا لأشارة القلاقل للدولة الإسلامية ، ومن ثم ميدانًا يجذب معظم الانطلاقات الإسلامية ويستنفذ طاقاتها فتفرقـت من ثم سياسة الرمح على القسطنطينية، هذا بالإضافة إلى تنظيمه الرائع لمناطق الحدود مع الدولة الإسلامية بحيث أصبحت درعاً لا يمكن اختراقه وتتحطم عليه كل المحـمات الإسلامية القليلة على الروم والتي كانت تسمح ظروف انشغالها المستمر في حروبها مع الخزر بتجهيزها^(٢) .

ويتضح مدى نجاح سياسات ليو الثالث عندما نعلم أن الدولة الأموية قد انشغلت تماماً بمحـطـر الخزر الذين أضـحـوا يهدـون اذريـجان وارـمينـيا إـلـى درـجـة أن الخليـفـة يـزيد وجـه جـزـءـاً كـبـيراً من القـوـات الشـاميـة المـضـطـلـعة أـسـاسـاً بالـغـزو عـلـى الجـبـهـة البيـزنـطـية إـلـى أـقـلـيمـ الخـزـرـة لـدـعمـ حـامـيـتهـ المسـتوـلة عـنـ مـواجهـةـ الخـزـرـ وـذـلـكـ بـعـدـ الـهزـمةـ التـكـراءـ التـىـ أـوـقـعـهاـ الخـزـرـ بـالـسـلـمـينـ عـامـ ٤١٠ـ هـ / ٧٢٢ـ مـ^(٣) ولـقـدـ أـثـرـ هـذـاـ التـحرـكـ بـالـطـبـيعـ عـلـىـ فـعـالـيـةـ اـدـاءـ الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ الجـبـهـةـ البيـزنـطـيةـ أـيـامـ خـلـافـةـ يـزيدـ ، كـانـ الـمـسـلـمـينـ لـمـ يـكـفـيـهمـ ظـرـوفـ الـاتـعـاشـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـبـيـزنـطـىـ وـالـذـىـ أـثـرـ عـلـىـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ مـواجهـتـهـ ، فـجـاءـتـ أـيـضاـ الـظـرـوفـ الدـاخـلـيـةـ غـيـرـ الـمـسـتـقـرـةـ لـتـكـافـفـ مـعـ الـظـرـوفـ الـخـارـجـيـةـ وـتـزـيدـ مـنـ سـلـيـةـ الـجـانـبـ الـإـسـلـامـيـ ، فـلـقـدـ انـفـجـرـتـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرةـ فـتـةـ

(١) فرج ، العلاقات بين البيزنطيين والأمويين ، م.م.د ، ص ١٨٣ .

(٢) المرجـعـ السـابـقـ ، ص ٢١٤ .
- رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٦٨ .

3) Shabban , op. cit , p. 144 - 147 .

يزيد بن المهلب بن أبي الصفرة الذي نجح على الخلافة الأموية في أقاليم العراق وخراسان والتي لم يجد الخليفة من وسيلة لمقاومتها الا ارسال قوات اليه يقودها قواد سجفهم من الجبهة البيزنطية^(١).

وعندما تولى أمر المسلمين الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ٧٢٤ هـ / ٧٤٣ - ٧٢٤ م) كانت الأوضاع الداخلية في الجبيهتين الداخلية والخارجية قد وصلت إلى درجة يصعب لأى راغب في اصلاح أن يتداركها ، فخطر الخزر وصل إلى حد قدرتهم على تهديد قلب أقليم الجزيرة والموصل ذاتها عام ١١٢ / ٧٣٠ ووصل احتراء البيزنطيين على الدولة الإسلامية إلى حد نزولهم شاطئ مصر بعد عام ١١٣ هـ / ٧٣١ م^(٢) ، ولقد نظر هشام إلى موقفه المتضعضع على كافة الجبهات فأدرك مدى خطورة الخزر فولى هذه الجبهة قرادة أكفاء من أمثال مروان بن محمد الذي استطاع أن يوقع بهم بعض الهزائم ويحد خطورهم نسبياً والذي كان يهدد ارمانيا واذريجان ، أما مواجهة البيزنطيين في آسيا الصغرى فقد توقفت توقفاً شبيه تاماً بين عامي ١١٥ - ١١٨ بتأثير الانشغال بأمر الخزر ، ولما بدأت عودة المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين مرة أخرى بعد غيبة هذا الخطير لم تكن الغزوات تعود التقدم المحدود في أرض العدو ويعقبها عودة إلى القواعد دون تتابع حاسمة ، فعهد التوسعات الكبرى والفتحات الهائلة يبدو أنه قد انقضى رغم اضفاء هشام صبغة الجهد على غزواته وتوليه ابناءه أمر الغزو في أرض الروم احياء لتقليد الفاتحين العظيمين معاوية بن أبي سفيان والوليد بن عبد الملك^(٣).

^(١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ذ ، ص ٢٦١ .

- ماجد ، التاريخ السياسي ، م، س، ذ ، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

- Shacban , op. cit , pp 144 - 147 .

^(٢) ماجد ، التاريخ السياسي ، م، س، ذ ، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

^(٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، س، ذ ، ص ١٦٩ .

- Shacban , op. cit , pp 144 - 147 .

ثم إن المعرك القليلة التي دارت بين المسلمين والبيزنطيين على الجبهة البيزنطية بدءاً من عام ١١٨ كانت سجالاً ، حتى كان عام ١٢٢ / ٧٣٩ والذى شهد وقوع معركة حاسمة في تاريخ العلاقات الأمريكية البيزنطية عرفت باسم موقعة اوكرانيون هزم فيها المسلمون هزيمة قاصمة ، ورغم نقل وطأة فقدان أربعين ألف جندي مقاتل وبعض من خيرة القواد على الجانب الإسلامي ، الا أن الأثر البالغ لهذه المعركة والذي يعتبر حاسماً في تغيير مسار العلاقات الإسلامية البيزنطية هو أن المسلمين اضطروا في أعقابها إلى أن يخلو عن غرب آسيا الصغرى وأن يتراجعوا شرقاً وجنوباً^(١) ، وهذا السبب يعتبر العديد من المؤرخين أن هزيمة المسلمين في أوكرانيون على الجبهة البيزنطية موازية في أثرها لهزيمتهم في بلاط الشهداء في الجبهة الأوروبية عام ١١٤ كما سترى أن المزيتين قد أديتا إلى الخسار المد الإسلامي عن العالم المسيحي شرقه وغربه في غضون سنوات قليلة فتم بذلك انقاد وجه النظام الدولي من أحسراء تغيرات جذرية في معلم لصالح الجانب الإسلامي .

وبهزيمة المسلمين في هاتين المعركتين أصبح واضحاً بما لا يدع مجالاً للشك أن الظروف الداخلية للدولة الإسلامية وكذا الظروف البيئية الخارجية تحمل من المختص على المسلمين أن يتخلوا عن الفتح والضم كهدف أعلى لسياساتهم الخارجية وأن يقنعوا بمحاولة النجاح في ردع البيزنطيين والفرنجية ووقف تهديداتهم للدولة الإسلامية ذلك أن هاتين المعركتين قد أعادتا الثقة للقوى غير الإسلامية في جيوشهم وجعلتهم أكثر حرساً على الاحتفاظ بما حققوه على حساب الدولة الأمريكية .

وإذا كان المسلمين قد أرسلوا حملة عام ١٢٤ محاولين الاستفادة من الصراع الداخلي حول السلطة في بيزنطة في ذلك الوقت إلا أن عمق تردئ حال المسلمين -في ذلك الوقت- سيتبين من حرص الحملة على أن لا تصطدم بالجيش الإمبراطوري واكتفت بالتوغل قليلاً في

^(١) فرج ، العلاقات بين البيزنطيين والأمرين ، م.س.ذ ، ص ٢٤٦ .

- Shabban , op. cit , p 149 .

أرض العدو ورعا . لثبت قدرة زائفة واسكانيات غير موجودة ، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي يتغلب فيها الجيش الأموي في أرض الروم حتى نهاية الدولة الأموية ذلك أن الصراعات الداخلية سرعان ما زادت من تزقها لينتقل زمام المبادرة كاملاً للدولة البيزنطية^(١) .

فالصراعات والفنون الداخلية في الدولة الأموية كانت قد وصلت حداً بالغاً من الخطير في أواخر عهدها عجل بسقوطها ، فالصراعات القبلية أدت إلى مقتل الخليفة يزيد بن عبد الملك فما كان من مروان بن محمد القائد العسكري على الجبهة البيزنطية إلا أن انسحب بجيشه ليخوض حرباً داخلية على الخلافة بدعوى الثأر لدم الوليد وترك الجبهة مع العدو الخارجي مفتوحة ، فاستغل البيزنطيون هذا وحاصروا مرعش واضطروا أهلها للمصالحة ثم خربوها ، وكذلك هاجروا دلوك وزبطرة وحاصرها ملطية وهدموها وهاجروا قاليقلاً والحدث والمصيصة ، وبذلك أشاعوا الاضطراب في أقاليم الشغور ، وكانوا يصلحون الأهالى على ترك هذه الجهات ثم يهدموها فدمروا بذلك الخط الدفاعي للدولة الأموية الذي بناه الأمويون الأوائل بالوقت والمثال والجهد^(٢) .

وامتد هجوم البيزنطيين وترافق المسلمين أيضاً إلى الميدان البحري فمنذ فشل حصار القدسية لم نسمع عن غزوات بحرية حتى عهد هشام بن عبد الملك الذي غزا أمير إفريقية في عهده عام ١١٧ حزيرة سردانيا ثم حزيرة صقلية عام ١٢١ ، ولكن لم يسفر هذا عن آية تنتائج حاسمة ، في حين تحدى أن الأسطول البيزنطي قد هاجم قبرص عام ١٢٩ / ١٤٧ ونجح في استرجاعها وفي ضرب الأسطول الإسلامي هناك ضربة قاصمة^(٣) ، وهذا في ذات الوقت الذي كان فيه الأمويون منشغلين فيه بالداخل عن الخارج . وبعد انتصار مروان بن محمد في الصراع على السلطة ، ما لبث أن اشغال بتمردات الخوارج والشيعة إلى درجة لم تجعله يلتفت حتى

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، موس . ذ ، ص ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

٢) المرجع السابق ، ١٧٠ .

- Hodgson , op. cit , Vol. 1 , pp 272 - 274 .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٧٠ .

- فرج ، العلاقات بين الأمويين والبيزنطيين ، ص ٢٤٦ .

إلى بخطير الدعوة العباسية التي كانت تستشرى في ذلك الوقت وتسري كالنار في الهشيم خاصة في أقليم خراسان حيث المرالى الساخطين على سياسات الأمويين في التمييز بين المسلمين من أصل عربي وال المسلمين من أصل غير عربي ، ولقد وصل أمر انشغال الخليفة بقتن الخوارج في المركز والأقاليم المجاورة إلى أنه لم يلتقط لنداءات واليه على خراسان نصرين سيار بطلب العون على الدعوة العباسية وأعلامه بذلك خطورها بل كان يرد عليه بأن يتصرف في الأمر بما يرتأى وبما يديه من إمكانيات ، ولما فرغ الخليفة نسبياً بما يديه من فتن وما أراد مواجهة بخطير العباسين كان أمرهم قد استفحلا ، ولم يستطع مواجهتهم بالاعتماد على الجند الشاميين لأنّه كان قد كسر شوكة حانب كبير منهم بسبب العصبية القبلية وانساد صراعه على السلطة فانهزم الخليفة الأموي من العباسين عام ١٣٢هـ / ٧٥٠م في معركة الزاب ثم طورد في مصر وقتل^(١) ، وليحط خاتمة أليمة للتاريخ مجيد وليحل معنى هاماً سيطر براسه كثيراً بعد هذا على طول التاريخ الإسلامي وهو أن المسلمين ينهزمون في الداخل قبل أن يهزموا في الخارج ، فهم دوماً تهزّهم خلافاتهم الداخلية وصراعهم مع بعضهم البعض قبل أن ينهزموا على يد أعداء خارجيين .

المبحث الثاني : الانحسار الإسلامي في الجبهة العربية الأوربية :

ما أن فتح المسلمين إسبانياً لتأمين فتوحات شمال أفريقيا حتى بدأوا وبنفس منطق تداعى الفتوحات ، يطمئنون إلى حماية الأندلس الإسلامية عن طريق الفتح في المنطقة المتاخمة لحدودها الشمالية الشرقية حيث تقع فرنسا الحالية والتي لم تكن قد أصبحت وحدة سياسية بعد : ففي هذا الوقت كانت المنطقة منقسمة إلى عدة ولايات أهمها سبتمانيا واكвитانيا وبرفانس وكانت تعرف تلك الأرضي باسم بلاد الغال ، أما المنطقة الواقعة شمال نهر اللورين وحتى ألمانيا الحالية فكانت خاضعة لملكية الفرنجة ، وهذه المملكة كانت في ذلك الوقت أعظم مالك الغرب والشمال على نحو ما كانت عليه الدولة البيزنطية في الشرق ، ولقد بدأت هذه المملكة منذ

^(١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٧٠ .

عهد شارل مارتل محاولات احتضان ولايات جنوب فرنسا لسلطاته بالقوة فكان أن غزا أقليم أكيتانيا بالذات أكثر من مرة ، وكان هذا بداية عداء وصراع في هذه المنطقة ترتيب عليه آثار هامة في مسار الغزو الإسلامي في جنوب فرنسا^(١) .

ولقد بدأ موسى بن نصیر بالفعل وقبل استدعائه إلى دمشق بعض الغارات الاستطلاعية في الشمال الشرقي ، بعد أن قرر ترك أمير الرکن الشمال الغربي للأندلس الذي انسحب إليه قلول الجيش القوطي كما ذكرنا قبلًا وذلك استخفافاً بشأنه ، فلقد قدر أن الخطر الحقيقي يأتي من الشمال الغربي فكانت سراياه تلك التي استولت على برشلونة وتولدت في فرنسا (غاللة) مخترقة جبال البرنيه في تسمانيا وبروفانس ومستولية على بعض المدن في المقاطعتين^(٢) ولم تتوقف غارات المسلمين المنطلقة من إسبانيا إلى فرنسا في عهد عمر بن عبد العزيز حيث جهزت حملة كبيرة في عام ٧١٩/١٠٠ اغارت على أقليم أكيتانيا ولكن الحملة انتهت بهزيمة المسلمين عام ٧٢١-١٠٢ ، ولم تخرج أي غارة بعدها من إسبانيا باتجاه فرنسا لمدة خمسة أعوام متتالية^(٣) .

ولقد بروز في هذه الحملة اسم عبد الرحمن الغافقي القائد المسلم الذي شهد هزيمة المسلمين فأراد أن يحولها إلى نصر ساحق فحاول بعد اثنى عشر عاماً من هذه الهزيمة أن يحيى من جديد مشروع طى أوروبا كلها تحت راية الإسلام والوصول إلى القدسية من الغرب .

ولقد حق المسلمون في إسبانيا بمحاجات واضحة في الجبهة الأوروبية في عهد الخليفة الأموي يزيد، ساعدهم على ذلك الظروف الداخلية للممالك الأوروبية في تلك المنطقة والتي اشرنا إليها قبلًا، فدوق أكيتانيا لصراعه المستمر مع ملك الفرنجة شارل مارتل سيسعى إلى عقد حلف مع المسلمين في الأندلس ليؤمن ظهره أثناء صراعه مع مارتل فلا يشتت جهوده على جهتين ، وسيوافق المسلمون على عقد معاهدة صلح ومهادنة اتباعها عقد تحالف بين الطرفين

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م ٢٠ ، س ٥ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٢) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

٣) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م ٢٥٠ ، س ٥ ، ص ٤٥٠ .

تعهد دوق أكيتانيا بمساعدة المسلمين على غزو بعض المناطق جنوب فرنسا ، ولقد خرجت الجيوش الإسلامية وفقاً ل هذه المعاهدة واحتاحت جنوب فرنسا حتى وصلت إلى مشارف باريس فاتحة في إقليمي بروفانس وبرجندية ومتوجهة بالطبع إقليم أكيتانيا الحالف لهـم^(١) ، وإذا كان هذا الخلف بين طرف إسلامي وطرف غير إسلامي لمواجهة طرف غير إسلامي قد يتحقق في هذه المرة على حلف كل التحالفات المائلة حيث كان الطرف غير الإسلامي سرعان ما ينقض العهد عندما يأمن خطر المسلمين ، فإن النجاح هذه المرة قد يرجع إلى ارتباط الطرف غير الإسلامي بعلاقات مصاهرة مع الطرف الإسلامي مثلاً في عامل شرطانية البربرى ، ومن ثم عندما تولى أمر الاندلس القائد عبد الرحمن الغافقي الذي شهد أول هزيمة كبيرة للمسلمين على يد دوق أو كيتانيا ذاته قبل اثنى عشر عاماً قرر نقض هذا الخلف وأعلن الجهاد ضد الفرجمة بعد أن قرب الرعية بالعدل وحسن التغور فتجمع لديه جيش ضخم قرر به عرض معركة ضد دوق أو كيتانيا الذي لم يجد أمامه إلا أن يستتجح بشارل مارتل خاصة بعد أن اجتاز الغافقي نصف فرنسا الجنوبي كله من الغرب إلى الشرق ، ووصلت جيوش المسلمين للمرة الثانية إلى أبواب باريس في غضون سبع سنوات واستولوا على بوابته وتقديموا صوب مدينة تور فأدرك شارل مارتل أن دولة الفرجمة ذاتها هي خطورة المسلمين التالية فقرر التحالف مؤقتاً مع دوق أو كيتانيا لمواجهة الخطر الإسلامي المشترك^(٢) فكانت المقابلة الكبيرة بين الجيش الإسلامي والجيش الأفرنجي في ١٤٦٢هـ / ١٢٢٧م في سهل يقع شمال بوابته فعرفت المعركة في المصادر الأجنبيـة باسم معركة بوابـة ، ولكنـها عـرفـتـ فـيـ المصـادـرـ الـعـرـبـيـةـ باـسـمـ بلاـطـ الشـهـداءـ لـكـثـرـةـ مـنـ قـتـلـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـعـلـىـ رـأـسـهـمـ الغـافـقـيـ ذـائـهـ فـكـانـتـ المـزـيـدـةـ .

(١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ص ٢٦١ .

رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م، س، ذ ، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ص ١٢٩ ، ١٣٢ .

ويورد المؤرخون لهذه الهزيمة سببين : أحدهما مباشر ، والآخر غير مباشر ، وكلاهما يؤكد درسا من الدروس المستفادة من تاريخ العلاقات بين القوى الإسلامية والقوى غير الإسلامية ، والذي لروعاه المسلمين ما كانت الهزيمة .

أما السبب المباشر للهزيمة فكان انشغال المسلمين بأمور دينهم ، فانشغل الجند بالغنائم التي حُمل بها الجيش طوال حملته من الشرق للغرب أدت إلى هزيمته ، فلقد كان الجيش معه هذه الغنائم في المؤخرة ، ولقد بلغ من حرص الجند على هذه الغنائم أن أدرك شارل مارتنل هذا بوضوح فكان حرص الجند عليها هو مدخله لهزيمتهم عندما وجه فرقه من جيشه المؤخرة الجيش الإسلامي فسرى في جند المسلمين أن معسكر الغنائم يوشك على السقوط فتركوا المعركة وارتدوا إلى الخلف فوق الاضطراب واستشهد الغافقي وهو يحاول أن يعيدهم إلى النظام دون قائد ، فزاد الاضطراب بعد استشهاده وزاد القتلى في صفوف المسلمين حتى أقبل الليل فانسحبوا تحت حنجه إلى قواعدهم في سبتة تاركين وراءهم الغنائم والأسلاك التي كانت سببا في هزيمتهم^(١) ، فكان المسلمين لم يتغذوا بدرس أحد .

أما السبب غير المباشر في الهزيمة فهو عدم تماست الجيش نتيجة الصراعات القبلية والعرقية فيه ، فرغم محاولات الغافقي القضاء على هذه الحزارات إلا أنها كانت من العمق بحيث أن المدود كان على السطح فقط في حين أن الأعمق كانت تغلق بالأحقاد والضغائن ، فجيش الاندلس التي أمن البربر والعرب الذين كانت علاقتهم علاقة تنازع منذ فتوحات الغافقي كان يتكون من البربر والعرب الذين كانوا عدتها الأساسية ، ثم استأنس العرب دونهم بعدها باللغام الكبيرة والمناصب القيادية ، ثم أن العرب ذاتهم كانت تمزقهم الحزارات القبلية ما بين قيسية ويعنية والتي حملوها معهم من دمشق حين قدموا للغزو في شمال أفريقيا والأندلس ولقد أثرت هذه الحزارات على وحدة الصف الإسلامي والتي أطلت برأسها عندما ساد الخوف على

(١) المرجع السابق ، ص ص ١٣١ - ١٣٣ .

الغناائم فانطلقت كل فرقة لتنفذ أسلابها فكانت المزيمة^(١) ، ولم يتعظ المسلمون بالانخال البدى فى المشرق الإسلامي نتيجة تزايد الخرازات القبلية بين قيس وبين والصراعات العنصرية بين العرب والفرس .

ولقد رأينا أن العديد من المؤرخين الأوربيين والعرب على حد سواء يعتبرون هذه المعركة علامة حاسمة في تاريخ النظام الدولي على أساس أنها وضعت حداً للنظام الإسلامي في أوروبا فأنقذت بذلك الكيانات الأوروبية المسيحية من أن تُطوى تحت راية الإسلام فتغيرت مصائر العالم القديم بأسره ، فهزيمة المسلمين هذه قد قضت على هدف ارتفاع راية الإسلام فوق العالم القديم فكسرت هذه المزيمة المعنى الذي سبق أن حملته هزيمة أمام أسوار القدسية عام ١٠٩٠هـ وهو فقد المسلمين فرصة التسيد على العالم القديم ، وكانت هذه المحاولة هي الأخيرة التي بذلتها الدولة الأموية لافتتاح دول الغرب المسيحي وتحقيق هدفها في أن تصبح القطب الواحد المتسيّد للنظام الدولي ، ولقد تأكّد هذا المعنى أكثر بعد هزيمة أركانيون عام ١٢٢٠ - والتي أشرنا إليها قبلًا - والتي ردت المسلمين أمام البيزنطيين في آسيا الصغرى^(٢) .

وإذا كان هناك بعض المؤرخين الذين لا يذهبون إلى الرأي السابق مؤكدين أن معركة بلاط الشهداء هي مثل غيرها من المعارك السابقة واللاستفادة بين المسلمين وغير المسلمين والتي تم تبادل المزيمة والنصر فيها^(٣) ، إلا أن استعراض النتائج التي ترتبّت على هذه المعركة ليضعها دون شك في صف المعارك الحاسمة في تاريخ العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين ، فضلاً عن استشهاد الغافقى مع آلاف من الجنود المسلمين مما أثر بالضرورة على امكانية القيام بأى محاولة جادة للفتح في أوروبا في الأمد المنظور ، فإن هزيمة المسلمين في هذه المعركة جعلتهم يتقوّعون في قواعدهم في سترانيا في جنوب فرنسا ويحجّمون عن غزو الشمال الفرنسي وبذلك اتّاحوا

١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

٢) عنان ، مواقف حاسمة ، م.من.ذ ، ص ص ٤٦ - ٧٠ .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.من.ذ ، ص ص ١٣٣ - ١٣٤ .

الفرصة لشارل مارتل لكي يسط سيطرته المطلقة على مملكة الفرنجة في الشمال وأن يعزز قبضته على أمراء الاقطاع في الجنوب فمهد بذلك لانتقال تلك المناطق إلى أسرته فتولى بعده ابنه بين ومن بعده ابنه كارلومان وشارلمان ، ثم انفرد الأخير بحكم مملكة الفرنجة عام ٧٧١ م ليحس فكرة توحيد غرب أوروبا تحت حكمه مقيماً "الإمبراطورية الرومانية المقدسة" عام ٨٠٠ ولقد أضحت مملكة الفرنجة إذن التي سمحت هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء بقيامها فاعلا دولياً قريباً ينادي الدولة الإسلامية في الأندلس بقيامه على حدودها ويقوم بدور الحصن الواقي لأوروبا من الغرب ، كما كان الحال مع بيزنطة في الشرق ، فتوقف المد الإسلامي داخل فرنسا وأوروبا لفترة كبيرة، بل وستكون هذه الإمبراطورية بعد قرنين من الزمان مصدر أكبر هجمة مسيحية على القوى الإسلامية وهي الهجنة المعروفة باسم الحروب الصليبية^(١) ،

ولقد كرس من الآثار الناجمة عن هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء والمتمثلة في الخسار المد الإسلامي في أوروبا لفترات طويلة ، الفتن والاضطرابات التي حلت بالغرب والأندلس بعد هذه الفرحة مباشرةً فصرفت اهتمام المسلمين عن استجماع قوتهم ولهمة شتاهم لمواجهة الفرنجة في الشمال ، وفي ذات الوقت كانت مملكة الفرنجة في الشمال تتعرض بتأثير انصراف الخطير الإسلامي في الجنوب وبتأثير ظهور حكام عنكين على عرشها في هذا الوقت الخارج واستفادوا منها استفادةً من أوضاع المسلمين المتردية على حدودهم الجنوبيّة وانشغالهم بانشقاقاتهم حتى عن استغلال أوقات الاضطراب الطفيفة في مملكة الفرنجة مثل تلك التي حدثت عند وفاة شارل مارتل وانشغال ابنه بتوظيد ملكه ، في حين استطاع الفرنجة استغلال الاضطرابات الداخلية في الإمارة الإسلامية لصالحهم تماماً ، ففي حين كان المسلمون يتفسخون ويتناحرُون في الأندلس والمغرب ، كان شارل مارتل يوحد أوروبا الغربية ضدهم . فلقد أرسل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حينها من دمشق للثأر من هزيمة بلاط الشهداء، وقد استطاع قائد هذا الجيش عقد مجموعة من التحالفات مع أمراء الممالك الفرنسية في

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

- عنان ، موافق حاسنة ، ص ص ٦٨ ، ٧٠ .

الجنوب الذين عادوا يريدون الاستقلال عن شارل مارتل ، ويستغل هذه التحالفات استطاع هذا الجيش الشامي أن يحقق بعض النجاحات في غضون عامين من هزيمة عام ١٤١٤هـ ، ولكن في هذه الفترة كان شارل مارتل قد انتهى من إتمام الشورات عليه في الشمال والشرق وبمحض فرصة اقامة سلسلة من التحالفات لمواجهتها بها تحالفات أعدائه من المسلمين وأمراء الأقطاب المسيحيين ، ودارت الحرب سجالاً بين الجانبين دون تنتائج حاسمة ، و جاءت الفرصة الذهبية لل المسلمين لكي يستعيدوا زمام المبادرة ولو نسبياً في مواجهة مملكة الاندلس في تصعيد خطير للحربات القبلية والعنصرية في هذه المنطقة والتي بدأت تظهر مساوئها منذ عام ١٤٢٢هـ^(١) . ففي هذا العام انفجرت ثورة عارمة للبربر في المغرب الأقصى استطاعوا من خلالها أن يسيطروا على المغرب الأقصى وأن يهزموا جيشين للأمويين كان بهما العديد من الأشراف فأرسل الخليفة هشام بن عبد الملك جيشاً عظيماً من عرب الشام (القيسارية) لقمع الثورة، ولما كان العرب المستقرون في المغرب والأندلس معظمهم من الحجاجين (اليمنية) فانهم لم يرجعوا بهذا الجيش وتخلىوا عنه في قتاله مع البربر فهزهم وحاول أن يعبر إلى الأندلس فراراً فرفض زعيم اليمنية هناك ذلك وهو عبد الملك بن قطن الفهري ، ولكنَّه عاد وأضطر إلى الاستعانة بالقيسارية عندما انفجرت ثورة البربر في الأندلس أيضاً وسمح لهم بقيادة بلج بن بشر بدخول الأندلس على شرط الخلاء عنها بعد إتمام الثورة ، فلما تم هذا رفضوا الخلاء فوُصب القيسارية على قائد اليمنية وقتلوه وحدث نفس الشيء بالنسبة لقائد اليمنية من قبل العرب القيسارية ، وكان هذا ذ狄راً انفجار حروب قبلية داخلية استقدمت المسلمين من فرنسا حيث كان قائد المسلمين هناك من أنصار قائد اليمنية فجهز جيشاً ضخماً زحف به من جنوب فرنسا إلى الأندلس للثأر لقائد اليمني واشتباك مع المسلمين الشاميين في حرب ضارية فقد فيها جيش

(١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ص ١٤٠ - ١٤٣

المسلمين القادم من فرنسا عشرة آلاف جندي كان من الممكن أن يوجهوا طاقاتهم لمواجهة الفرحة فيدلاً من أن يفعلوا هذا قاموا بقتل القائد المسلم بلج بن بشر وكان من أثر هذه المعركة بين الفريقين المسلمين أن خفت الحاميات المسلمة في الأندلس وفي جنوب فرنسا على حد سواء بما أدى إلى ظهور حركات انفصالية في المنطقتين ، ومنع العداء بين المسلمين في الأندلس وفرنسا من أن يتكاففوا لمواجهة هذا الخطر المشترك^(١)، وسيكون لهذا أثر عميق على تطور العلاقات بين المسلمين والفرجنة . كما سترى في الفصل القادم .

والملاحظة الواحذ الاشارة إليها هنا : هي عمق اختلاف سلوك الأطراف الإسلامية في مواجهة خلافاتهم بالمقارنة بسلوك الأطراف غير الإسلامية ، ففي حين كان المسلمين ينغمون في خلافاتهم وصراعاتهم ، كان غير المسلمين ينحجون في الارتفاع فوق خلافاتهم - ولو مؤقتاً لمواجهة الخطر الإسلامي والتكتل ضده كما فعل شارل مارتل مع دوق اوكيتانيا في مواجهة خطر الغافقي على سبيل المثال .

المبحث الثالث : الانحسار الإسلامي على الجبهة الشرقية :

رغم أن القرى التي كان يواجهها المسلمون على الجبهة الشرقية ما كان يمكن قياسها بالامبراطورية البيزنطية أو بملكة الفرجة ، إلا أن الانحسار والتراجع إلى موضع الدفاع كان هو سمة الموقف الإسلامي على هذه الجبهة كذلك .

ولقد مثل الخطر الأساسي الذي واجهه المسلمون على هذه الجبهة في قبائل الترك البدوية التي بدأت تصعد في فترة التراجع الأموي وأخذت قوتها تتضاعف ، فلقد تجرأت تلك القبائل على المحدودة الشرقية للدولة الأمورية بعد هزيمتها أمام أئماب القسطنطينية للمرة الثالثة ، فنجده هذه القبائل تغير على أذریجان في عهد عمر بن عبد العزيز وتقتل المسلمين هناك ، وازاء هذا

^(١) المرجع السابق ، ص ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦

العدوان الصريح جهز عمر بن عبدالعزيز حملة وجهها إلى تلك المناطق استطاعت أن تسفل بهذه القبائل خسائر^(١) ولكن تعدد قبائل الترك لم يتوقف بل تزايد في عهد يزيد الذي خلف عمر بن عبدالعزيز حيث عاود خاقان الترك التعدى على بلاد ما وراء النهر مستغلًا فرصة انتفاض تلك المناطق على الخلافة في دمشق ، وكان خاقان الترك سولو (٧٣٨-٧١٦) قد استطاع بالتحالف مع الصين أن يؤمن إمبراطورية عملت على تأكيد استقلالها وبسط نفوذها على كل قبائل الترك في الغرب ، ولقد استطاع أن يلحق هزيمة كبيرة بال المسلمين عام ١٠٦هـ / ٧٢٤م وضع المسلمين بعدها في موضع الدفاع لمدة خمسة عشر عاماً فكانوا يتفهرون أمام القوات القبلية للأترارك بصفة مستمرة في أقليم ما وراء النهر ، وكان هذا الخطير التركي أحد الأسباب التي دفعت الخليفة سليمان بن عبد الملك إلى تغيير واليه على العراق واستبداله بآخر ينجح في تأمين تعاون القبائل المحلية في أقليم خراسان مع المسلمين ضد القبائل التركية ، ذلك أن هزائم المسلمين المتراكمة أمام القبائل التركية كانت ترجع في أحد أسبابها إلى تقاعس الجند الشاميين عن المشاركة في هذه المخوب ، وكذا معظم المقاتلة المستقرة في خراسان لرغبتهم في الاستقرار ، ولقد ادركت القيادة الإسلامية أن القوة التي سيقع عليها عبء مواجهة هذا الخطير التركي لا بد وأن تكون متقدمة للأقليم حتى تحد الدافع اللازم للدفاع عنه ، وتمثلت هذه القوة في القبائل المحلية التي كانت في علاقة عداء طبيعية مع الترك ، فتوحدت جهود هؤلاء مع الجند الراغبين في القتال وأوقعوا هزيمة كبيرة بالقبائل التركية عام ٧٣٧/١١٩ انكسر فيها الأترارك وظلوا كذلك لفترة طويلة مما أثر على مصير الإسلام في آسيا الوسطى^(٢) .

ثم إن الشعوب القوقازية الموحودة على حدود أرمينيا قد تحررت أيضًا على أرمينية وأغارت المرة تلو المرة لتهزم عمال المسلمين وولاتهم هناك^(٣) ، ولقد رد المسلمين على هذه الاعتداءات

(١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ذ ، ص ٢٥٠ ،

2) Shabani , op. cit , pp. 138 - 141 .

(٣) ماجد ، التاريخ السياسي ، م، س، ذ ، ص ٢٧٩ ،

بغزوات أربعاء ١٠٤ ، ١٠٥ و ١٠٦ واستمر غزو المسلمين لأرمينيا طوال عهد هشام بن عبد الملك، وكان الغزو في معظم الأحيان نتيجة نقض العهد، فيغزو المسلمون هذه المناطق لاجبار أهلها على اعادة دفع الجزية وهو العهد الذي كانوا ينقضونه فور ادخال المسلمين .

ثم إن الغزوات على هذه الجبهة لم تكن تحقق هنا الغرض المحدود والمحدد منها ، بل كثيراً ما كان ينهزم المسلمون أمام القبائل المحلية فيتراجعون دون أن يحققوا حتى هذا الهدف الواقعي من إجبار أهل البلاد على اعادة دفع الجزية^(١) .

ولقد كان غزو المسلمين في السند أوفق ففي فترة هشام وصل المسلمون في فتوحاتهم إلى أماكن جديدة في شرق السند وجنوبه الشرقي ، بل إن المعاملة الطيبة لعامل المسلمين على الهند شجعت الناس على اعتناق الإسلام بل واعتنقه أيضاً ابن الملك داهر ملك السند الشهير^(٢) .

ولعل أهم ما يحمد للخليفة هشام أنه استطاع أن يصمد للأخطار الخارجية على كل الجبهات ، ف الصحيح أنه لم يقم بفتحات عظيمة ولكن مجرد قدرته على الثبات والدفاع عن حدود الدولة الإسلامية أمام الضربات القادمة من كل الجهات في وقت واحد يعتبر إنجازاً في حد ذاته في ظل الظروف التي كان يتولى الدولة في ظلها^(٣) ، وبنهاية عهد هشام عام ١٢٥هـ / ٧٤٣م كان عدم الاستقرار الداخلي قد وصل حداً ينذر بقرب نهاية الدولة الأموية، فلقد بدد الأمويون بخلافاتهم وتقاولهم مع بعضهم البعض ما حصلوا به بحدتهم في مواجهة الأعداء الخارجيين .

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م، س، ذ ، ص ص ٢٦١-٢٧٦ ، ٢٧٧-٢٧٨ .

٢) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م، س، ذ ، ص ص ٣٥٣-٣٥٤ .

3) Shacban , op. cit , p 152 .

الخاتمة

كان من أهم عوامل نجاح التحرك الخارجي للدولة الأموية متعها بمحكمة مركزية قوية واقتصاد غني مستقر يوفر نفقات الحملات وكذا جيش يتزعم بالطاعة والامتثال لأوامر قواده وبالولاء لل الخليفة وبالإيمان بالعقيدة التي يدافع عنها ويعمل على نشرها ، وباستثمار هذه العوامل استطاعت الدولة الأموية أن تحتل مكانها في التاريخ بوصفها أولاً وقبل كل شيء "دولة الفتوحات الإسلامية الكبرى" ، وإذا كانت الدولة الأموية قد دالت قبل أن تحقق الهدف الاستراتيجي الأعلى لسياستها الخارجية وهو القضاء على الدولة البيزنطية وتحويل النظام الدولي من نظام ثقافي الأقطاب إلى نظام أحادي الأقطاب تتسيد عليه وتنشر راية الإسلام على كافة أرجائه ، فإن هذا لا يقلل من عمق الأثر الذي تركته هذه الدولة وسياستها الخارجية على شكل النظام الدولي المعروف حيث ، فصحيح أن الدولة الأموية لم توفق في اسقاط الإمبراطورية البيزنطية ، إلا أن فتوحاتها أدت إلى ضمها القسم الأكبر من أملاك تلك الدولة بما ترتب عليه آثار دولية خطيرة ، فالإمبراطورية الرومانية يقع معظمها على سواحل حوض البحر المتوسط فعندما انتزع الأمويون من الإمبراطورية البيزنطية معظم أملاكها فإنهم كانوا يعني أو آخر ينزعونها السيطرة على حوض البحر المتوسط ، ولقد أدى الصراع الذي دار بين الدولتين إلى تحول البحر المتوسط من كونه شرياناً للتجارة الدولية كما كان الحال قبل ظهور الدولة الإسلامية في النظام الدولي إلى كونه حلبة صراع وساحة حرب ، ولو كانت إحدى الدولتين قد نجحت في القضاء على الدولة الأخرى لكان قد تم توحيد البحر المتوسط مرة أخرى ولعدم انتعاشها تجاريًا ، ويتصاعد هنا مدى الأثر السلبي لفشل المسلمين في اسقاط القسطنطينية ثلاثة مرات وكذا فشل مشروع موسى بن نصیر في اجتياح أوروبا والرسول إلى القسطنطينية من جهة الغرب ، فالنجاح الجزئي للMuslimين في تحقيق أهدافهم الدولية وتنافس القوتين الأموية والبيزنطية ضفتى هذا البحر انهى الدور التجاري المورى لهذا البحر لمدة ستة قرون وحوله إلى جبهة قتال يحويها السفن الحربية بدلاً من السفن التجارية .

ولقد ترتب على نفقت حوض البحر المتوسط واقتسام الدولتين الأموية والبيزنطية ضفتيه وترقى التجارة به نتائج عظيمة لكل من قطبي النظام الدولي في ذلك الوقت، فساداً نظرنا إلى الدولة الإسلامية أولاً للاحظنا أن المسلمين قد نجحوا في الشرق فيما فشلوا فيه في الغرب ، فهم وإن كانوا فشلوا في تحقيق وحدة البحر المتوسط فانهم قد نجحوا في السيطرة على كل شواطئ الخليج العربي وذلك باسقاطهم الدولة الفارسية، ثم أنهم نجحوا أيضاً في انتزاع مصر والشام وكل غرب آسيا (فيما عدا الأناضول) من الروم البيزنطيين ، وبذلك تغلبوا على العقبة الأساسية التي كانت تقف حجر عثرة في طريق التجارة المارقى الشرق عبر الخليج العربي (الفارسي) وهو تفتق وحدة هذه المنطقة بين الامبراطورية الفارسية (التي كانت تملك العراق) والامبراطورية البيزنطية التي كانت تملك الشام ، فكان الدور الذي لعبه الأمويون في تمزيق وحدة حوض المتوسط قد وازنوه دولياً بدورهم في توحيد طريق التجارة في الشرق الأقصى بإعادة التعاون والتكميل بين المرين المائيين الخليج العربي والبحر الأحمر ، فوجود متعدد للتجارة العالمية أمام المسلمين في الشرق مع الهند والصين وشرق أفريقيا لم يجعلهم يشعرون بوطأة انتهاء الدور التجارى للبحر المتوسط ولاهم عانروا من ذلك ، بل وستنبع الدولة العباسية في الأفاده تماماً من هذا الطريق التجارى في تحويل الهيكل الاقتصادي للدولة الإسلامية تماماً ونقله من كونه اقتصاد حرب إلى كونه اقتصاد سلم يقوم على التجارة ، كل هذا والبحر المتوسط مازال مغلفاً أمام التجارة الدولية .

وفي الوقت الذي أصبحت فيه أسواق الصين والهند والملایير ومدغشقر وغانجا مفتوحة أمام التجارة المسلمين ، فإن أوروبا المسيحية كانت منعزلة تماماً ومحرومة من المشاركة في السوق العالمي للتجارة الدولية مع الشرق نتيجة سيطرة المسلمين على ثلاثة أرباع حوض المتوسط وأذكاء الصراع مع أوروبا فيه ، ولقد كان هذا الاضمحلال في التفاعل التجارى المشارىء لأوروبا محورياً في تغيير مسار تاريخها كله لقرون عديدة قادمة ، ذلك أن مدنها أصبحت مجبرة على تغيير نمط حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وذلك بتأثير انقطاع ورود سلع حيوية من الخارج ، والأهم من ذلك الآثار الثقافية والحضارية المتربعة على انعزال أوروبا عن التأثير

البيزنطي ، فال الأوروبيون أضطروا إلى تطوير نمط للحياة بعيداً عن النمط الثقافي للحياة الرومانية الشرقية ، ولقد أدى تأثير تقلص الحضارة الرومانية الشرقية القائمة على التجارة وعلى حياة المدن وكذا تقلص التجارة وتناقص الأموال السائلة إلى دخول أوروبا في عهود الاقطاع وإلى بداية العصور الوسطىظلمة لها ، فمع تناقص العملة أصبحت الأرض معيار الثروة وأضحت الطبقة الاستقراطية هي طبقة مالكي الأرض في القرى وليس طبقة رجال الأعمال والتجار في المدن ، وبذلك تدهورت المدينة وازدهرت الضياعة كوحدة سياسية واقتصادية واجتماعية ، ولعدم وجود سبولة نقدية بدأت تقلص القوات النظامية التي تقاضي أجراء على خدماتها وأضحى من يقدم خدمة هامة يقطع أرضاً مقابل خدماته مما أدى إلى تزايد دور الاقطاع العسكري ، وسرعان ما تأثر التعليم بالفقر الذي تفاقم وبانعدام الورق اللازم للكتابة والذي كان يستورد من الخارج وبالتالي طبقة المزارعين وعلوهم على طبقة سكان المدن بدورات عصور أوروبا الظلمة ثقافياً وحضارياً . وإذا كان غزو القبائل الجرمانية من الشمال قد لعب دوراً مساعداً في التأثير على شكل النظام الدولي بادخال أوروبا في العصور الظلمة فان سيطرة الدولة على حوض البحر المتوسط في القرن السابع الميلادي وعزتها بذلك عن العالم ليعد العامل الخامس هنا ، وهذه العصور لم يبدأ انحسارها الا مع القرن العاشر الميلادي الذي بدأ يشهد عوامل الضعف تدب في الدولة الإسلامية⁽¹⁾ فانحسرت سيطرتها وتسيدها على حوض البحر المتوسط وسوف نرى كيف أن الآثار التي خلفتها عصور الاقطاع في أوروبا سوف تكون سبباً في خروج الحملات الصليبية ، وسوف نرى أيضاً أن عودة مسيحي أوروبا على جزء كبير من حوض المتوسط سيسهل خروج هذه الحملات ويساعد بالمدد الصليبيين المستقررين في الشرق .

والدولة الأموية التي تركت هذه البصمة الحاسمة على شكل النظام الدولي في القرنين الأولين للهجرة (السادس والسابع الميلاديين) نتيجة ما حققه من نجاح على صعيد التحرك الخارجي في مواجهة الدولة البيزنطية - الامبراطورية العظمى التي استعانت على الامبراطورية الفارسية -

1) George Fejlo Houraini , Arab Seafaring in The Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, pp. 52 - 53.

سقطت بتأثير عوامل داخلية ، فإذا كان النجاح قد تحقق بفضل حكومة مركبة قرية تقضي بقوة على زمام الجبهة الداخلية وبفضل جيش منظم مطيع توافق الغزو ، فإن الفشل قد حاصل نتيجة انفلات الأمر من يد الحكومة المركزية ونتيجة تفاسخ الجيش .

فالدولة الأموية التي أحكمت قبضتها على شعوبها في الداخل يبدو أنها ملكه في معظم الأحيان بالبطش ولم تملكه بالمعروف وصالح السياسات (باستثناء نماذج قليلة أهمها عمر بن العزيز) فتت ami انفصال الأمة عن أصحاب السلطة وتعاظم شعور المواطنين بعدم الرضا عن الحكومة وعدم التعاطف معها فانفجرت من الداخل بجميع أنواع الصراعات والهزازات فانشغلت السلطة بهمومها الداخلية عن مشاكلها الخارجية ، وكانت الرقعة تتسع كل يوم لخروج عن حدود قدرة الراتق فأكملت الفتنة الداخلية دولة الفتوحات الخارجية بسبب سياسة التعصب بكل صورها التي تبنّاها اليت الأموي وشجعوا كثير من الخلفاء ، فلقد عرفت الدولة الأموية التعصب العنصري حيث كان هناك تمييز واضح بين المسلمين العرب والمسلمين غير العرب ، ثم كان التعصب القبلي حيث كان الصراع مستمراً ودائماً بين القيسية واليمنية وصل إلى صور ابشع وأثر على تمسكه وعلى ولائه للخلفية ، ثم كان هناك تعصب إقليمي حيث استشرت المنافسة القاتلة بين الحجاز ودمشق أولاً ثم بين دمشق والعراق ، ولقد تفاقمت كل صور التعصب بعد وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١٢٥هـ حيث زج الخلفاء بأنفسهم في هذه الصراعات فوجدت الدعوة العباسية الفرصة الذهبية؛ صحيح أن الدعوة بدأت عام ١٠٠هـ وهو نفس عام اغتيال الدولة الأموية وتراجعتها في البيضاء الخارجية، إلا أن نجاح الدولة العباسية الباهر جاء بعد وفاة هشام وتزايد انفصال جسد الأمة عن رأسها بتأثير سياسات التمايز والتفرقة مما يسر على الدعوة العباسية مهمة استقطاب المواليين وتنظيمهم ضد الدولة الأموية حتى كان الانقضاض الأخير عليها دون أن يهرب شعوبها للدفاع عنها بعد أن غربته بالتفرقه والتعصب^(١) .

^(١) عبد الحليم عويس، دراسة لسقوط ثلاثة دول إسلامية، (جدة - دار الشروق، ط٢، ١٩٨٤) ص ٦٥-٧٠.

أما بالنسبة لتقاعس الجيش عن الفتح فقد رأينا أنه بدأية من عهد سليمان بن عبد الملك . كانت هناك رغبة في إنهاء الفتوحات بعمل حاسم ثم الاستسلام إلى حياة الدعة والاستقرار والراحة ، وأن هذا التوجه من قبل الخليفة كان استجابة لرغبة بدأ يفصح عنها الجند خاصة في الجبهة الشرقية ، ولقد ظل تردد الخلافة واضحًا بين تبني سياسات قتال من جانب أو التخلص عن ذلك من جانب آخر بين خلفاء سليمان ، ففي حين نجد هشام بن عبد الملك والوليد الثاني من أبرز من تبنوا الخطط الأولى بعد عمر بن عبد العزيز ويزيد الثالث من أبرز أصحاب الاتجاه الثاني ، وإذا كان عمر بن عبد العزيز قد تبني هذا الخطط بوصفه تفيناً حاداً وأميناً لمقاصد الشريعة ، فإن يزيد الثالث قد سار في هذا الاتجاه نزولاً على رغبة الجند الذين كانوا قد وثبوا على سلفه الوليد الثاني وقتلوه نتيجة سياساته التوسعية ورغبتها في إرسالهم في غزوات مستمرة على كل الجبهات ، فلما دال الأمر لمروان بن محمد - آخر الخلفاء الأمويين والرجل العسكري والقائد على الجبهة البيزنطية - وكان من أبرز أنصار اتجاه عدم وقف القتال ، تجمعت عليه كل عوامل الضعف من صراعات قبلية وتمردات خارجية وشيعية وتذمر الجند واصحاحهم صراحة عن اعلان العصيان اذا لم يسمح لهم بالعودة إلى موطنهم ، فانشغل بمراجعة هذه الجبهة الداخلية المتفرجة دون أن يلقى باللخطر الحقيقي القادر من حراسان والذى يلعب على وتر سياسات الأمويين التمييزية بين العرب والفرس وبين الأمويين والعلويين⁽¹⁾ ، ولما تبه لهذا الخطير كان قد استشرى وأنهزم الأمويون أصحاب الصلوات والجرولات ضد البيزنطيين بيد أبناء عمومتهم العباسين .

1) Shacban , op. cit , pp 158 - 159 , 160 - 164 .

المراجع

- ابراهيم أحمد العدوى ، الامويون والبيزنطيون : البحر المتوسط بحيرة إسلامية (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت) .
- ابراهيم أحمد العدوى ، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط (القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، د.ت) .
- احمد بن زيني بن احمد دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية(القاهرة : موسسة الحلبى ، ١٩٨٦) .
- اسد وستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب - (بيروت : دار المكشوف ، ١٩٥٥) .
- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ١: الدولة العربية ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، ١٩٦٤ .
- رسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي.
- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية : تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الاموية (الاسكندرية : موسسة الثقافة الجامعية - د.ت) .
- عبد الحليم عرقيس ، دراسة مستقرفة-ثلاثين دولة إسلامية ، (جدة - دار الشروق ، ط٢ ، ١٩٨٢) .
- عبد السلام الزمايني ، أزمنة التاريخ الإسلامي ، ج ١، مجلد ١ ، (الكويت: ١٩٨٦) .
- عبد العظيم رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية - (القاهرة : دار المعارف- ١٩٨٣) .
- عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية - عصر الخلفاء الامويين -(القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ، ج ١ ١٩٨٢) .
- عليه عبد السميح الجنزوري ، التغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠) .

- فتحى عثمان ، المسود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك المجرى والاتصال المضارى)
القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ، ٢٠١٥) .
- محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام - (القاهرة : موسسة الحanagerى - ج ١،
١٩٦٢) .
- محمد محمد عبد القادر الخطيب ، دراسات تحليلية في تاريخ الدوليات الإسلامية (د.م . ط ١،
١٩٨٥) .
- محمد شاكر ، التاريخ الإسلامي : العهد الأموى - (بيروت : المكتب الإسلامي - ١٩٨٢) .
- هاشم إسماعيل الجاسم، دراسات تاريخية عسكرية عن التغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربى
للسما فى نهاية العصر العباسى الأول - رسالة ماجستير - كلية الأدب - جامعة القاهرة -
١٩٧١ .
- وسام فرج ، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط ، حوليات كلية الآداب ، جامعة
الكريت ، المخولة التاسعة ، الرسالة الثالثة والخمسون ، ١٩٨٨ .
- Hodgson , The Venture of Islam , Vol.1 : The classical Age of Islamic (Chicago , London : The University of Chicago press, 1974) .
- Bernard Lewis , The Arabs in History (New York : Harper , Row Publishers , 1960) .

أصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أولاً - سلسلة إسلامية المعرفة

- إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الوجيز في إسلامية المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق عمل بعض مؤتمرات الفكر الإسلامي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر.
- تعر فنظام تقسيمي عادل، للدكتور محمد عمر شاهرا، ترجمه عن الإنجليزية سيد محمد سكر، ورافقه الدكتور رفيق المصري، الكتاب المائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- تعر علم الإنسان الإسلامي، للدكتور أكبر صلاح الدين أسد، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد الفتاح خلف الله، (دار الشير / عمان الأردن) (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- منظمة المؤتمر الإسلامي، للدكتور عبدالله الأحسان، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفاتح، الرياض، (١٤١٠هـ/١٩٩١م).
- تراثنا الفكري، للشيخ محمد الفوزاني، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- مدخل إلى إسلامية المعرفة: مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٦هـ/١٩٩٤م).
- إصلاح الفكر الإسلامي، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر، أبحاث الندوة المشتركة بين مركز صالح عبدالله كامل للأبحاث والدراسات / بجامعة الأزهر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- ابن تيمية وإسلامية المعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

ثانياً - سلسلة إسلامية الثقافة

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- الصحوة الإسلامية بين المبحرون والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

ثالثاً - سلسلة الضایا الفكر الإسلامي

- حجية السنة، للشيخ عبد الفتاح عبد المخالق، الطبعة الثالثة، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الخامسة، (١٤١٢/١٩٩٢م).
- كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الفزالي أجرها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثالثة، (١٤١٣/١٩٩٣م).
- مراجعات في الفكر والدعاة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، (١٤١٢/١٩٩٢م).
- حول تشكيل العقل المسلم، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الخامسة، (١٤١٣/١٩٩٢م).
- المسلمين والبديل الحضاري للأستاذ حيدر الغدير، الطبعة الثانية (١٤١٢/١٩٩٢م).
- مشكلتان وقراءة فيها للأستاذ طارق البشري والدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، (١٤١٣/١٩٩٣م).
- حقوق المرأة: حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، للأستاذ راشد الفتوسي، الطبعة الثالثة، (١٤١٣/١٩٩٣م).
- رابعاً - سلسلة المنهجية الإسلامية
 - أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثالثة، (١٤١٣/١٩٩٢م).
 - المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للتفكير الإسلامي، الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، (١٤١١/١٩٩٠م).
 - الجزء الثاني: منهجية العلوم الإسلامية، (١٤١٣/١٩٩٢م).
 - الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، (١٤١٣/١٩٩٢م).
 - مجلد الأعمال الكاملة (١٤١٥/١٩٩٥م).
- معالم النهج الإسلامي، للدكتور محمد عمار، الطبعة الثانية، (١٤١٢/١٩٩١م).
- في النهج الإسلامي: البحث الأصلي مع المناقشات والتعليق، الدكتور محمد عمار، (١٤١١/١٩٩١م).
- خلاصة الإنسان بين الروح والعقل، للدكتور عبد المجيد النجار، الطبعة الثانية، (١٤١٣/١٩٩٢م).
- المسلمين وكتابه التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبعة الثانية، (١٤١٥/١٩٩٤م).
- في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل للأستاذ نصر محمد عارف، (١٤١٤/١٩٩٣م).
- خامساً - سلسلة أبحاث علمية
 - أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٥/١٩٩٥م).
 - التفكير من المشاهدة إلى الشهادة، للدكتور مالك بدرى، الطبعة الثالثة، (منقحة) (١٤١٣/١٩٩٣م).
 - العلم والإيمان: مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة

الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- روح المضاربة الإسلامية، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، ضبطها وقدم لها عمر عبد حسنة، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، للدكتور عبد المجيد النجار، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

سادساً - سلسلة المحاضرات

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص واقتراحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

سابعاً - سلسلة رسائل إسلامية المعرفة

- شواطئ في الأزمة الفكرية والمازنق المضاربي للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- الأسس الإسلامية للعلم، للدكتور محمد معين صديقي، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- قضية التهجمية في الفكر الإسلامي، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور إسماعيل الفاروقى، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

ثامناً - سلسلة الرسائل الجامعية

- نظرية المقاديد عند الإمام الشاطئي، للأستاذ أحمد الرسوبي، (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- الخطاب العربي المعاصر: قراءة تقدية في مفاهيم التحضر والتقدم والحداثة للأستاذ نادي إسماعيل، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٤١٢هـ).

- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعيية والسيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

- المقاديد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

- نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة تقدية مقارنة في ضوء النظر المضاربي الإسلامي، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الثالثة، (١٤١٤هـ/١٤١٣هـ).

- القرآن والنظر العقلي، للدكتورة فاطمة إسماعيل، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفى، للدكتور عبدالرحمن زيد الزيني، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للدكتور راجح الكردي، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- الزكاة: الأسس الشرعية والدور الإقتصادي والمعززى، للدكتورة نعمت عبد اللطيف مشهور،

(١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- فلسفة المضمار عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، للدكتور سليمان الخطيب، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

- الأمثال في القرآن الكريم، للدكتور محمد جابر الفياض، الطبعة الثالثة للأمثال في القرآن الكريم، للدكتور محمد جابر الفياض، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

- الأمثال في الحديث الشريف، للدكتور محمد جابر الفياض، (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

- تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، للأستاذ إبراهيم العتيقي، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

تاسعاً - سلسلة العاجم والأدلة والكتشافات

- الكشاف الاقتصادي لأيات القرآن الكريم، للأستاذ محبين الدين عطية، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

- الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

- الفكر الشريوي الإسلامي، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثالثة (منقحة ومتقدمة) (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

- قائمة مختارة: حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة ، للأستاذ محي الدين عطية، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد ، الطبعة الثالثة (منقحة ومتقدمة) (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

- دليل الباحثين إلى التربية الإسلامية في الأردن، للدكتور عبد الرحمن صالح عبدالله، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- دليل مستخلصات الرسائل الجامعية في التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسودانية، للدكتور عبد الرحمن النقيب، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- الدليل التصنيفي: لرسوقة الحديث النبوي الشريف ورجاله، إشراف الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

عاشرًا - سلسلة تيسير العراث

- كتاب العلم، لبلامام الثاني، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

حادي عشر - سلسلة حركات الإصلاح ومناهج التغيير

- هكذا ظهر جيل صلاح الدين .. وهكذا عادت القدس، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية (منقحة ومتقدمة) ، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

ثاني عشر - سلسلة المفاهيم والمصطلحات

- الحضارة - الثقافة - المدنية «دراسة لسيره المصطلح ودلالة المفهم» للأستاذ نصر محمد عارف ، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

المرجع عن المعتمدين لإصدارات المعهد

الملكة العربية السعودية: دار المعلمة للكتاب الإسلامي من. ب. 55195 فليانس 11534
هاتف: 966-1 (463-463) فاكس: 966-1 (3489-463)

الملكة الأردنية الهاشمية: المعهد العالمي للتراث الإسلامي من. ب. 9489 - صن
هاتف: 962-6 (611-420) فاكس: 962-6 (639-992)

لبنان: المكتب العربي المتعدد من. ب. 135788 بيروت.
هاتف: 961-1 (807-779) فاكس: 961-1 (860-184) C/O (212) 478-1491

المغرب: دار الأمان للنشر والتوزيع، 4 زقة الملمونة الرويلط
هاتف: 212-7 (723-276) فاكس: 200-055 (212-7)

مصر: دار النهار للطبع والتوزيع، 7 ش. الهرمورية عابدين - القاهرة.
هاتف: 20-2 (3406543) فاكس: 20-2 (3409520)

الإمارات العربية المتحدة: مكتبة القراءة للجميع من. ب. 11032، دبي (سوق الحرية المركزي الجديد)
هاتف: 971-4 (663-901) فاكس: 971-4 (690-084)

شمالي أمريكا:
- لستة النشر

AMANA PUBLICATIONS
10710 Tucker Street Suite B, Beltsville, MD 20705-2223
Tel. (301) 595-5777-(800) 660-1777 Fax: (301) 595-3888

- المسعداوي للنشر

SA'DAWI PUBLICATIONS
P.O.Box 4059, Alexandria, VA 22303 USA
Tel: (703) 751-4800. Fax: (703) 571-4833

- خدمات الكتاب الإسلامي

ISLAMEC BOOK SERVICE
2622 East Main Street, Plainfield, IN 46168 USA
Tel: (317) 839-8150 Fax: (317) 839-2511

بريطانيا:
- المدرسة الإسلامية

THE ISLAMIC FOUNDATION
Markfield Da'wah Center, Ruby Lane Markfield, Leicester LE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944/45 Fax: (44-530) 244-946

- خدمات الإعلام الإسلامي

MUSLIM INFORMATION CENTRE
223 Seven Sisters Rd, London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272-5170 Fax: (44-71) 272-3214

فرنسا: مكتبة السلام

LIBRAIRIE ESSALAM
135 Bd. de Ménilmontant, 75011 Paris
Tel: (33-1) 43 38 19 56 Fax: (33-1) 43 57 44 31

بلجيكا: سيركمبيكس

SECOMPEX, Bd. Maurice Lemonnier, 152
1000 Bruxelles Tel: (32-2) 512-4473 Fax (32-2) 512-8710

هولندا: رشاد للتصدير
RACHAD EXPORT, Le Van Swinden Str. 108 11
1093 Ck Amsterdam Tel: (31-20) 693-3735 Fax (31-20) 693-8827

الهند:

GENUINE PUBLICATIONS & MEDIA (Pvt.) Ltd
P. O. Box 2725 Jamia Nagar New Delhi 100025 India
Tel: (91-11) 630-989 Fax: (91-11) 684-1104

المَعْهَدُ الْعَالَمِيُّ لِلْفِكَرِ الْإِسْلَامِيِّ

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوسيعها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
 - استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
 - إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.
 - ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:
 - عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكيرية المتخصصة.
 - دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراکز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
 - توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.
- والمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقيات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربية وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتاب

جزء من عمل ضخم استغرق إنجازه ما يزيد عن عشر سنوات وشارك فيه فريق مكون من سبعة وعشرين أستاذًا وباحثًا من المتخصصين في العلاقات الدولية والقانون الدولي والتاريخ الإسلامي والعلوم السياسية ، يتحاورون ويتدارسون قضايا العلاقات الدولية في الإسلام في اجتماعات شهرية ونصف شهرية .

وقد أثمر هذا الجهد إنتاجاً أكاديمياً متميزاً في أربعة مجالات هي :

- أصول وقواعد ومناهج التعامل مع المصادر الإسلامية عند التنظير للعلاقات الدولية في الإسلام (الأجزاء : الأول والثاني والثالث) .
- العلاقات الدولية كما يمكن استباطها من الأصول الإسلامية : القرآن والسنة وخبرة الخلفاء الراشدين (الأجزاء : الرابع والخامس والسادس) .
- العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي (من الجزء السابع وحتى الثاني عشر) .
- العلاقات الدولية في الفكر السياسي الإسلامي (الأجزاء: الثالث عشر والرابع عشر)
- وسوف يتم اختصار هذا المشروع ، واستخلاص أنكارة في صورة كتاب دراسي يمكن صاحبها للتدرис في الجامعات .

وي يكن القول – دون مبالغة – أن هذا الإنتاج هو الأول من نوعه في هذا المجال وفي جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية في الدول العربية والإسلامية ، لذلك لا يجب الوقوف عنده وإنما ينبغي أن يكون بداية لانطلاقه بحثية تسير على منهجه ، وتجاوزه وتبني على قضيائاه ، وتفرع عليها ، وتعمق جزئياته ، وتستدرك عليها . بل أن خطته ومنهج تناوله ينبغي أن يكرر في علوم ومتخصصات إجتماعية أخرى .

To: www.al-mostafa.com